الأزهر

الإعلام الإسلامي

«العربية» وأصول الإعلام
مفاهيم ونظريات

للدكتور / حسن علي محمد
مدرس الإذاعة والتليفزيون - جامعة المنيا

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

هدية شعبان ١٤١٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن نظريات الإعلام ـ كعلم إعلامى مستقل ـ تُكَوِّن عِلما حديث النشأة عربيا وغربيا ، لعل هذا العلم لم يحظ بتراكم معرفى ، كالذى حظيت به العلوم الإنسانية الأخرى مثل التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع وغير ذلك ...

ويمكن القول : إن نظريات الإعلام فى بداياتها قد ظهرت على أكتاف علماء غير متخصصين فى الإعلام سواء على المستوى العربى أو على المستوى الغربى ، وإنما كان الإعلام يقع فى دائرة التماس مع اهتماماتهم الأخرى فكان لكل فرع من فروع المعرفة أبطاله الذين التقت بحوثهم فى النهاية مع علم الاتصال ، الذى تمثل نظرياته القاعدة الرئيسية فيه .

وفى هذا المجال رأينا اهتمامات « كلود شانون » وزميله « ويفر » بالاتصال مركزة على دراسة التطورات الفنية فى هندسة الاتصال والمستحدثات فى مجال دوائر التليفزيون والآلات الحاسبة والتليفون ، ولم يكن اهتمامهما نابعا من تخصص إعلامى بقدر ما كان نابعا من اهتمام

رياضى مهنى لاشتغالهما فى شركة بل (Bell) للتليفونات ويلحق بهما العلماء الذين ساهمت أبحاثهم فى تطوير نظريات الاتصال بالجماهير ، واعتبرت أعمالهم مساهمة فعالة فى بناء الأسس الحديثة لنظريات الإعلام برغم أن كثيرا منهم نظر إلى الإعلام بمنظار تخصصه الدقيق الذى لم يكن تخصصا فى الإعلام .

وعلى هذا المنوال رأينا اهتمامات الجاحظ بعلم البيان وعلوم البلاغة ؛ لم يكن موجهاً مباشرة إلى الإعلام بقدر ما كان موجهاً إلى دراسة فن البيان وعلوم البلاغة ، وإنما كان الاهتمام فى أصله نابعاً من دراسات قرآنية تهدف إلى فهم مقاصد القرآن الكريم ، ونفس الشىء كان لعبد القاهر الجرجانى والرمانى وغيرهم ، حتى إن ابن خلدون قد فطن إلى هذا وأثبته فى مقدمته قائلا :

« إن علم البيان(*) علم حادث فى الملة ودراسة لا عهد للعرب بها فى جاهليتهم ولا فى العصر الإسلامى ، وإنما البيان كان من العلوم التى تولى غراسها المسلمون فى سبيل فهم كتابهم والذب عن قرآنهم » [1] .

مما سبق نرى أن الباحثين الذين تصدوا (للاتصال) كظاهرة اجتماعية أو لغوية أو إنسانية ، انطلقوا فى دراساتهم من قلب تخصصاتهم

(*) هو ما يناظر علم الإعلام الآن .

(1) عبدالرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٤٥ .

وبالقدر الذى يخدم اهتماماتهم ويحقق أهداف دراساتهم ، ولا زال هذا الاتجاه سائدا حتى الآن .

- فالمعلم اهتم فى دراسته للإعلام بكيفية تحويل الراديو والتليفزيون إلى أدوات تعليمية ومعينات ووسائل إيضاح .
- والسياسى اهتم بدور الصحيفة أو الراديو أو التليفزيون وتأثير ذلك فى الناخبين ، وتعديل اتجاهات الناس وميولهم .
- وعالم النفس يحاول فهم ما يحدثه الراديو من تأثيرات فى القيم والاتجاهات والمعلومات وما يترتب على هذا كله من مشكلات الصحة النفسية للمشاهدين من الأطفال أو الكبار على حد سواء .

ونفس الشىء بالنسبة لعالم الاجتماع الذى وجه اهتمامه فى دراسات الإعلام إلى ظواهر جنوح الأطفال أو الشباب الناتج عن تأثيرات وسائل الإعلام .

ثم ......

بمجرد انتهاء البحث كان المتخصصون يعودون إلى مجالات عملهم الأصلية لمواصلة بحوثهم دون أن يحاولوا تفسير مضامين اكتشافهم لتفسير سلوك وسائل الإعلام .

ولعل هذا ما جعل الدكتورة « جيهان رشتى » ترى أن تعدد العلوم التى اشتبكت مع الاتصال ، وتعدد الهيئات والتخصصات أدى إلى زيادة صعوبة التنسيق بين أهداف تلك الأبحاث للوصول إلى نظرية موحدة فى الإعلام كما يحدث فى بعض العلوم الأخرى [٢] .

وبعكس ما نرى فى المكتبة الأجنبية من تراكم معرفى معقول فى بحوث نظريات الاتصال نواجه بندرة فى المكتبة العربية تتناول نظريات الإعلام من منظور عربى إسلامى ، كما نلاحظ أن الدراسات العربية القليلة فى معظمها لم تتجه نحو بناء (نظرية للاتصال) أو نظريات تلائم الواقع العربى ، لأن معظم الباحثين العرب أنفقوا جهودا كثيرة فى « البحوث الأمبريقية » أى البحوث التى تعنى بالاستفتاءات لقياس القراءة أو المشاهدة أو الاستماع دون أن يسهم ذلك فى بناء نظرية علمية .

والسؤال الذى يطرح نفسه :

متى نصبح شركاء فى مسيرة المعرفة الإنسانية فى مجال نظريات الإعلام ؟ .

صحيح لم يعرف القدماء المسلمون الإعلام بنفس المسمى الذى نعرفه اليوم لكنهم أبدعوا دراسات ثمينة تحت مسمى البلاغة أو البيان أو فنون القول .... وحين نفتش فى معانى هذه المصطلحات سوف نجد أنها قريبة جدا من مفاهيم الاتصال ..

---

(٢) د . جيهان رشتى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٣ ، ص ٣٣ .

فكم يا ترى من أساتذة الإعلام خصّ ـ من نفسه ـ وقتا للاقتراب من كتابات الجاحظ أو ابن وهب ، أو حتى فى كتابات المحدثين مثل : أمين الخولى ، أو عباس العقاد ، أو الرافعى ، أو بنت الشاطىء .

إننا مقصرون ـ بحماس ـ فى النهل من منابع التراث بنفس الحماس الذى نستورد به نظريات الغرب .

من هنا كان الاهتمام بهذه الدراسة التى تحاول أن تقارن بين نتائج البحوث الأجنبية التى قدمت نماذج أو نظريات فى الإعلام ، ونتائج دراسات بيانية وبلاغية يمكن أن تصنع نموذجا عربيا أو نظرية عربية فى **الاتصال** بالناس .

نقطة أخرى جديرة بالاهتمام ترتكز عليها هذه الدراسة وهى وضع فصل حاسم بين مفهومىْ « النظرية والنموذج » لأنهما متداخلان فى بحوث ودراسات إعلامية كثيرة ، فهناك من يرى « النموذج والنظرية » بمعنى واحد ، وهناك من يرى النموذج مرحلة قبل النظرية وهناك من يرفض (النمذجة) باعتبارها قوالب جامدة لا تصلح لوصف عملية متغيرة باستمرار مثل الاتصال .

وقد استخدمنا فى هذه الدراسة **منهج المسح** كمنهج رئيسى يعتمد على جمع البيانات المتاحة حول نماذج ونظريات الإعلام عربية وغربية كما اعتمدنا على منهج فرعى .... (**المنهج المقارن**) ليساعدنا فى عقد المقارنات بين نظريات الغرب ونظريات العرب . ثم حاولنا أن نتثبت

من صحة الفرض الرئيسى القائل بأن تراثنا العربى يحتوى على نماذج ونظريات فى فن القول أو فن الاتصال بالناس مماثلة أو مقاربة للنظريات الأجنبية . ونظريات الإعلام الأجنبية ، كما رجعنا إلى المصادر الأصلية للعلماء العرب الذى بثوا نظرياتهم فى ثنايا مؤلفاتهم وكان على رأس العلماء العرب : الجاحظ الذى وضع نظريته فى فن القول والاتصال بالناس فى كتابيه : « الحيوان ، البيان والتبيين » .

وفى مسيرة بحثنا وقفنا على شبه نظرية كاملة فى فن القول للإمام عبد القاهر الجرجانى ، أسماها علماء البلاغة بنظرية النظم والتى أودعها كتابه « دلائل الإعجاز » كذلك وجدنا عالما ثالثا له رؤية إعلامية مقاربة لرؤية الجاحظ إنه العالم « ابن وهب » الذى أودع نظريته كتابه المعروف : « البرهان فى وجوه البيان » .

لقد أدهشنى أن أفكارا كثيرة رددها (شانون) و (برلو) و (لاسويل) وهى بنفس معناها قد توصل إليها الجاحظ وابن وهب والجرجانى ولم أجد اختلافا سوى فى المصطلح وذلك للفارق الزمنى بين هؤلاء وهؤلاء(**) .

وعلى أية حال .. نحن فى هذه الدراسة لا نحاول الإدعاء بأن نظريات الإعلام الأجنبية منقولة عن روادنا الأوائل من علماء المسلمين

(**) ليس هذا فقط ، فإننا إذا تجاوزنا جانب الإعلام ، وجدنا نظرية الارتباط الشرطى فى التعليم صاحبها الجاحظ نفسه ، فهو الذى أذاع التجربة مستخدما فيها الكلب .. وإذا بها تذاع على الناس دون إشارة إلى صاحبها الأصلى .

ولا نحاول أن ندعى على مفكرينا المسلمين بأنهم قد أحاطوا بكل شىء فنلوى عنق (النص) الذى خلفوه لإثبات ما ليس حقا لهم فى فن الاتصال . وحسبنا أن نقدم ما تحت أيدينا لينال كل ذى حق حقه .

جهدى فى هذه الدراسة هو محاولة ضبط المصطلحات والفصل الحاسم بين المفاهيم ، واستقراء تراثنا الإسلامى بعين دارس الإعلام ، وربط هذا التراث بأحدث النظريات الموجودة الآن ..

ولست أدعى فى هذه الدراسة أننى قد وفيتها حقها أو أنها الحق الذى لا مرية فيه ، إنما هى جهد المقل يعتريه الخطأ والنسيان .

حسن على محمد

(جمادى الآخرة ١٤١٨ هـ ــ أكتوبر ١٩٩٧ م)

تمهيد

حاجتنا إلى فكر تنظيرى إعلامى جديد

نعيش اليوم عصر السماء المفتوحة والإعلام الفورى .. ، إعلام يطلق وابلا من الصور والرموز والأحداث ، التى تستولى على انتباهنا ، وبالتالى نحن نحتاج إلى مراجعات لما كتب فى نظرية الاتصال من نماذج وبحوث ودراسات .. تضع فى اعتبارهـــا التطـــور التكنولوجى والانفجار « المعلوماتى » ... ، ثم تستند فى هذا إلى قاعدة من تراثنا وفكرنا ... ولا ننبهر بما جاء به الغرب .

لقد درس طالب الإعلام فى سنواته الأولى أن انتقال أية بيانات يتطلب :

١ ـ مصدر : مرسل .
٢ ـ وسائل : لنقل الرسالة .
٣ ـ جهة مستقبلة : المتلقى .
٤ ـ الرسالة نفسها : المضمون .

إن الوسائل الإعلامية الجماهيرية ، اتسعت وتعددت وأصبح الفضاء كله مزدحما بملايين الرسائل الإعلامية ، مما وسع من فرص الانتقاء والاختيار أمام المستمع والمشاهد ، وبالتالى فإن المتلقى من أربعين سنة ـ حين بنى « شانون » أو غيره نماذجهم ـ لم يعد هو نفس المتلقى اليوم .

فالمصرى الذى كان يشاهد قناتين للتليفزيون ليس هو نفسه الذى يشاهد أكثر من عشر قنوات مصرية ومئات القنوات الفضائية الدولية ... فضلا عن اختلاف مرجعية وثقافة ولغة وفكر المصرى عن الأمريكى أو الإنجليزى الذى أجرى « شانون » أو غيره دراساته عليهم ، وما يقال عن المصرى يقال عن غيره ، وبفضل أجهزة « الكمبيوتر » الآن أصبح من الممكن بناء نماذج تعتمد على عدد من المتغيرات أكبر مما يستطيع الذكاء الآدمى ــ وحده ــ معالجتها . وهو ما لم يكن ميسورا لدى الْمُنَظِّرِينَ قبل نصف قرن .

وإذا كان العالم الإسلامى يشهد يقظة واعية ، فى مواجهة تيارات التغريب ... ، فما أحرانا أن نسهم ولو بفكرة فى الجانب الإعلامى ... ونقدم لبنة فى صرح الإعلام الإسلامى .. وذلك ما نحاول أن نفعله (***) .

(***) سبق أن قدمت مجلة الأزهر للكاتب ورئيس التحرير معا عدة بحوث فى النصف الأخير من الثمانينيات فى إرساء نظريات فى الإعلام الإسلامى .

الفصل الأول

مفاهيم ومصطلحات

وكلمة (اتصال) استخدمت فى مضامين مختلفة حتى تعددت دلالاتها ، فإذا كان المفهوم التقليدى للاتصال هو : **نقل الأفكار والمعلومات من فرد إلى آخر** ؛ فإنها تعنى كذلك نقل السلع والبضائع من مكان إلى آخر ، كما استخدم المهندسون كلمة (اتصال) للإشارة إلى التليفون والتلغراف والراديو ، واستخدمها الأطباء فى حديثهم عن الأمراض المعدية[١].. وهكذا .

مفاهيم الاتصال :

يعرف (ولبور شرام) الاتصال بقوله : ان كلمة اتصال (Communication) مشتقة من الأصل اللاتينى (Communis) ومعناه : العام أو الشائع أو المألوف .

وفى معجم اللغات : كلمة (Communication) ، وتعنى الاتصال والمخابرة والإبلاغ ونقل المعلومات ، وهى من الفعل أوصل أى أبلغ[٢] .

---

(١) جيهان رشتى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٣م ، ص٥٩ ، ص٦٢ .

(٢) جروان السباق ، معجم اللغات الوسيط ، طبعة أولى بيروت ، ١٩٨٤م ، س١٢٣٩ .

فإذا ماعدنا إلى الأصول اللغوية العربية للكلمة من واقع معاجمنا العربية نجد أن الكلمة من الفعل (وصل) ، (يصل) وقد زيد الفعل بالألف وتاء الافتعال فأصبح فعلا خماسياً (اتصل) وعلى هذا ، فـ(الاتصال) مصدر «اتصل» ليدل على علاقة تفاعلية بين طرفين .

وفى المصباح المنير : وصلت إليه (أصل) وصولاً ، و(وصل) الخبر بلغ ، وصلت المرأة شعرها و(استوصلت).. سألت أن يفعل بها ذلك ، (وصلتُ) الشيء بغيره ، وصلا (فاتصل) به[3] .

والاتصال – اصطلاحاً – لدى علماء الإعلام يعنى : نقل المعلومات والآراء والاتجاهات من مُصَدِّرٍ إلى مُتَلَقٍ من أجل هدف ما يراد تحقيقه .

والاتصال هو : النشاط الذى يستهدف الذيوع والانتشار لفكرة أو موضوع أو منشأة أو قضية عن طريق انتقال المعلومات أو الأفكار أو الآراء أو الاتجاهات من شخص أو جماعة إلى أشخاص أو جماعات باستخدام رموز ذات معنى موحد ومفهوم بنفس الدرجة لدى كل من الطرفين[4] .

والاتصال الإنسانى فى أبسط تعريف له يعنى : نقل المعلومات والأفكار والاتجاهات من شخص لآخر.. مرسل يرسل رسالة خلال

---

(٣) المصباح المنير مادة ، وصل .

(٤) سمير محمد حسين ، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام ، القاهرة ، عالم الكتب ١٩٨٤م ، ص٢١ .

وسيلة إلى جمهوره بقصد التأثير فيه[٥] .

ويرى صمويل بيكر : أن الاتصال أكثر تعقيداً من مجرد النموذج التقليدى للمرسل والرسالة والوسيلة والمتلقى ؛ حيث يرى أن المستقبل يميل إلى إكمال الفجوات الناقصة – فى الرسائل الاتصالية – بالمعلومات[٦] .

ويرى زيدان عبدالباق : أن الاتصال من العمليات الاجتماعية ذات الأهمية القصوى فى المجتمع ، على اعتبار أن دوام استمرار تقدم المجتمع يعتمد بالدرجة الأولى على الاتصال الإيجابى الجيد[٧] .

وهو يرى أن الاتصال عملية ليست جامدة ، وإنما تتميز بما تتميز به العمليات الاجتماعية من ديناميكية حركية تجعل من المستحيل تجسيدها أو حتى تحديدها فى ألفاظ .

وإذا كان زيدان عبدالباق يرى أن الاتصال عملية اجتماعية فإن «دى فلور» (Defleur) وروكيتش (Rokeach) يريان الاتصال **كعملية دلالية** لاعتماده على الرموز ، وأنه **عملية عصبية حيوية** يتم فيها

(5) Warrenk ..., et al, Lntroduction to Mass Communication . N.Y. Harper & Rae publishers, 8gh edition, 1985.p.17.

(6) Bealer, Samuel. L. Discoxering mass communication, Illinois. Glenvew ; Scott forsnan and Company , 1983,pp.5.10.

(٧) زيدان عبدالباق ، وسائل وأساليب الاتصال فى المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية القاهرة : النهضة المصرية ، ١٩٧٩م ، ط٢ ، ص٤٤

تسجيل معانى الرموز فى ذاكرة الأفراد ، **وأنه عملية نفسية** حيث يتم اكتساب معانى الرموز من خلال التعليم وأنه : **عملية ثقافية** ، على اعتبار ان اللغة المستخدمة فى الاتصال عبارة عن مجموعة من الأعراف الثقافية المتفق عليها[٨] .

ومما سبق نلمس شبه إجماع على :

– أن الاتصال عملية (Process) ولايتحقق مفهوم العملية بدون تفاعل .

– أن الاتصال شيء متغير حتى أثناء دراسته فهو فى حركة دائبة ، ومن هنا صعوبة التنظير وصعوبة التطبيقات .

– أن الإطار الاجتماعى للاتصال يعتبر ركناً أساسياً من أركان عملية التفاعل وأن الإطار السياسى يشكل النظام الاتصالى للوسائل الإعلامية.

مفهوم فلسفة الاتصال :

نقصد بهذا الإصلاح محاولة التعمق فى جوهر الاتصال وتحليله وفهم أبعاده ، مع النظر بروية إلى المشكلة الإعلامية بحيث يمكن لنا تحديد طبيعتها ، ومحاولة تفسيرها ، والوصول إلى العلاقات المسببة لها أو المؤدية إلى حلول شافية لها[٩] .

---

(٨) حمدى حسن ، مقدمة فى دراسة وسائل وأساليب الاتصال ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨٧م ص٨٢ ، ص٨٣

(٩) نفس المصدر السابق ص٢٠٧

إن أية مؤسسة إعلامية تحتاج إلى إطار تنظيمى كمؤسسة مجتمعية وكمؤسسة إعلامية فإذا قامت بدون فلسفة واضحة فإنها تقع فريسة للاجتهادات الذاتية وتناقض المواقف من القضايا العامة والقومية .

إذن فلسفة الإعلام – من وجهة نظرنا – هى بحث العلاقة الجدلية بين أسس الإعلام كعلم ، وبين تطبيقاته فى الواقع الاجتماعى ، بكل عناصر هذا الواقع ومكوناته وحركاته .

مفهوم سياسات الاتصال Communication Poliey :

سياسات الاتصال عبارة عن اختيارات صانع القرار فى مجال الإعلام والتى على ضوئها يتم وضع الخطط الإعلامية ، وفى نفس الوقت تعتبر سياسات الإعلام جزءاً لا يتجزأ من عملية التخطيط الإعلامى القومى .

وقد جرى العرف فى لغة الإعلام على استخدام تعبير «سياسات» للدلالة على الاختيارات أو الأسس التى على أساسها يتم الاختيار(١٠) .

كذلك فإن الهدف الأساسى لسياسات الإعلام هو ربط النشاط الإعلامى بالأهداف القومية للمجتمع ، ذلك لأن الإعلام ليس قطاعاً مستقلا عن بقية قطاعات الدولة ، ولايعمل فى فراغ ، بل هو قطاع يعمل فى قلب المجتمع ويخاطب جماهيره ، ولهذا فإن سياسات الإعلام

---

(١٠) ليلى عبدالمجيد ، السياسات الاتصالية والإعلامية وأثرهما فى الثقافة والتربية ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ٢٣ ، العددان الأول والثانى ، ١٩٩٤م ص ٥٥

اليوم لابد أن تسير جنباً إلى جنب مع سياسات التعليم والتربية والثقافة ؛ بل يجب أن تتفاعل مع هذه السياسات تفاعلا كاملا .

وخـــلاصة القـــول : إن مفهـــوم سيـــــاسات الاتصال (Communication Policies) مجموعة المبادىء والقواعد والأسس والتوجيهات والأساليب التى توضع لتوجيه نظام الاتصال وعمليات التنظيم والإدارة والرقابة والتقويم المرتبطة بهذا النظام[11] .

وعادة ماتكون سياسات الاتصال بعيدة المدى وتتناول الأمور الأساسية ، وهى تنبع من «الأيديولوجيـة» السياسيـة والظـروف الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع .

ولكل بلد سياساته الاتصالية التى قد تكون كامنة وغير مترابطة فى بعض الدول ، أو قد تكون واضحة فى التشريعات والمواثيق فى بعض الدول الأخرى .

والسياسات الاتصالية لايمكن أن تستورد أو تنقل كنموذج عالمى يمكن تطبيقه بل ينبغى أن تنبع من واقع كل بلد .

مفهوم نظم الاتصال :

على الرغم من مرور عقدين من الزمان على استخدام **مصطلح (دظام إعلامى)** فإنه يصعب القول بأن هناك اتفاقاً بين الباحثين على مفهوم موحد لكلمة (نظام إعلامى) .

---

(١١) نفس المصدر ، ص٥٦

ومرد ذلك إلى هذا الخلط أو عدم الفصل بين مفهومى : نظام إعلامى ، ونظرية إعلامية ، ولعل ذلك قد جاء نتيجة تقارب ظهور المصطلحين[١٢] .

ودراسة نظم الاتصال تعنى بتحديد كيفية تأثير نظام معين على الأسلوب أو الطريقة التى يتم استخدام وسائل الإعلام لها طبقاً لهذه الطريقة ، ثم كيفية تأثير ذلك الاستخدام على الوسائل والمجتمع .

مفهوم الاعلام :

• فى المصباح المنير[١٣]يقال : (علمته) . «علمت» به ، وأعلمته الخبر ، وأعلمته به ، وتجد فى (علن) الأمر (علونا) من باب قعد أى ظهر وانتشر فهو «عالن» و«علن» و«علين» .

وهكذا نلاحظ أن المادة الأخيرة تفيد الذيوع الذى قد لايفيده بعض مفردات الكلمة الأولى .

• فى المحيط[١٤] : أعلن ، الأمر ، أظهره وفى لسان العرب[١٥] : علن الشيء «علونا» إذ شاع . والإعلان فى الأصل إظهار الشيء وفى حديث الهجرة : «لا تستعلن به ولسنا بمقرين له» .

---

(١٢) فاروق أبوزيد ، انهيار النظام الإعلامى الدولى ، بدون ناشر ، ١٩٩١م ، ص١٤٨ - ١٥٠

(١٣) المصباح المنير ، مادتا : (علم ، علن) .

(١٤) القاموس المحيط ، مادة علن .

(١٥) لسان العرب ، نفس المادة .

ويقول الراغب الأصفهانى – فى المفردات[١٦] : «الإعلام (بالميم) اختص بما كان بإخبار سريع و «التعليم» اختص بما يكون بتكرير وتكثير وفيه – أيضاً – (علن) : العلانية ضد السر . وأكثر مايقال ذلك فى المعانى دون الأعيان .

و«الإعلام – اصطلاحاً لدى الإعلاميين – هو – تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التى تساعدهم على تكوين رأى مصيب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات[١٧] .

والدكتور إبراهيم إمام فى هذا التعريف يرى : أن الإعلام يعنى «الإخبار» بقصد تكوين «رأى» وليس لمجرد الإخبار السريع كما يذهب إلى ذلك الراغب الأصفهانى وبطرس البستانى .

ونحن نميل إلى التعريف اللغوى لابن منظور الذى يرى أن الإعلام : يعنى «الإظهار» وليس مجرد عملية إخبارية ، وإنما هو عملية اتصالية لكل أنشطة المجتمع وللحياة اليومية وتبادل المعرفة بين الناس .

فالإعلام هو تزويد الناس بالمعلومات الصحيحة والحقائق والأخبار الصادقة بقصد معاونتهم على تكوين الرأى السليم إزاء مشكلة

---

(١٦) الراغب الأصفهانى ، المفردات فى غريب القرآن مادة علم .

(١٧) إبراهيم إمام «الإعلام والاتصال بالجماهير» القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م ص١١

من المشاكل أو قضية من القضايا . أى أن الإعلام يقوم على مخاطبة العقل لا الغريزة والعاطفة .

دور الإعلام هو : نقل صورة الشيء لا إنشاء هذه الصورة ، وبالتالى فالإعلام لا يرسم سياسة الدولة بل هو معبر عنها فقط .

الدعوة :

الدعوة لغوياً : تعنى النداء والطلب للاجتماع على شيء أو الاشتراك فى شيء وفى لسان العرب : (الدعوة) المرة الواحدة من الدعاء ، و«الداعية» الذى يدعو إلى دين أو فكرة من قول الله– تعالى : ﴿.... وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٦] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف : ٣١] .

والدعوة الإسلامية عند د . عمارة أستاذ الدعوة بالأزهر – مصطلح يقصد به : بيان الحق وإبلاغه بهدف اشتراك الناس فى خير الإسلام وهداه ، وقد يراد به الإسلام نفسه[١٨] فدعوة الإسلام ، أو الدعوة إلى الله ، وهى دعوة الحق كما قال – تعالى :

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الرعد : ١٤]

فالدعوة منهج يقوم على بيان الحق والخير ، والهدى وكشف وسائل الباطل وأساليبه بكل الطرق والوسائل والمناهج التى يجمعها قوله – تعالى :

(١٨) عمارة نجيب ، فقه الدعوة والإعلام ، دار الفاروق ، طبعة أولى ، ١٩٨٣ ص١٧

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] .

مفهوم الإعلام الإسلامى :

الإعلام الإسلامى هو تزويد الناس بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة والآراء الواضحة ، من خلال وسائل الإعلام المختلفة ، وبشتى الأساليب المتفقة مع آداب الإسلام على أن تبين الحق للناس وتزينه[١٩] .

ويهتم الإعلام الإسلامى بالأخبار بشرط الواقعية والصدق فيها ، ثم الفائدة العائدة على الناس من وراء نشر هذه الأخبار[٢٠] .

ويمكن تعريفه بأنه : الإخبار بالحقائق الصادقة والمعلومات الصحيحة التى تخدم أهداف المجتمع الإسلامى فى إطار المبدأ الإسلامى «الحلال بيِّن والحرام بيِّن» على أن يكون ذا اتجاهين من الحاكم إلى المحكوم ومن المحكوم إلى حاكمه مراعياً فى ذلك صدق النصيحة ومصلحة الأمة .

---

(١٩) محمد ناجى مسلم . الوظيفة الإعمارية للمسجد «رسالة ماجستير غير منشورة» المعهد المعهد العالى للدعوة الإسلامية . جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٩٨٠ .

(٢٠) د . عمارة نجيب . المدخل لدراسة الإعلام الإسلامى ، القاهرة ، مطبعة الفاروق ، ١٩٨٢

الفصل الثانى

الاتصال بين النماذج والنظريات

- **أولا : مفهوم النظرية(*) :**

إن كلمة (Theory) فى الإنجليزية معناها : الجانب النظرى من علم أو فن[1] ، ويرادف كلمة نسق أو نظام التى يقابلها كلمة (System) ، والنسق – إذا أردناه فى الكلام – فهو فى اللغة العربية : ماجاء من الكلام على نظام واحد[2] ، والتنسيق : هو التنظيم أو الترتيب .

والنظرية فى دائرة المعارف البريطانية : خطة ذات مراحل مرتبة ذهنياً، تشمل مجموعة من النظم والعمليات والافتراضات والاقتراحات التى تتسبب فى إحداث نتيجة قائمة على الاستدلال الذهنى المنطقى[3] .

وهى ترتيب منطقى منهجى للحقائق طبقاً لطبيعة العلاقة بين هذه الحقائق وبين فروض مسبقة وهى تفسير لصحة بعض الفروض التى

(*) كان الأجدر بمفهومى «النموذج» و«النظرية» أن يدخلا ضمن تعريفات الفصل الأول الخاص بالمفاهيم ، ولكن أوردناهما هنا إيثاراً لبسط القول فيهما .

(١) منير البعلبكى ، قاموس المورد ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٩٤م ، ص٩٦٣

(٢) المصباح المنير ، مادة نسق ، وكذا مختار الصحاح ولسان العرب .

3) Encyclopedia Britannica The Universty Of Chicago 15th edition 1983 PP. 941-942

لاترق إلى مستوى القانون[٤] .

ثانيا : مفهوم نظريات الاتصال :

كما هو الحال فى مفهوم (الاتصال) الذى تطور عبر مراحل زمنية بفضل جهود الباحثين فى شتى المجالات ، كذلك اصطلاح (نظرية الاتصال) فمنذ أن نشر «كلود شانون» نموذجه الرياضى سنة ١٩٤٨م تلاه أكثر من (١٥) خمسة عشر نموذجا لعناصر الاتصال تحاول أن ترسخ مفهوماً أو مفاهيم جديدة للاتصال البشرى .

ولقد وجدنا فى أوائل الخمسينيات تعريف (نظرية الاتصال) تعريفاً ضيقاً انصب على نواحى الاهتمامات الفنية الدقيقة فى نظرية المعلومات.!

وعلى المستوى العربى أنفق الباحثون وقتاً كبيراً فى «البحوث الأمبريقية» وعمل الاستفتاءات لقياس القراءة أو الاستماع أو المشاهدة ، ولازالوا ينفقون الكثير من الوقت فى هذا الشأن دون أن يتصدى بعضهم (للتنظير) .

حتى ماكتب بالعربية عن (نظريات الاتصال) نجد أن معظمها يستخدم مصطلح (نظرية الاتصال) لتشير إلى مجالات البحث التى تهتم بعلوم أخرى لها طبيعة سلوكية مرتبطة بالاتصال البشرى . ولكنها تجعل النظرية والنموذج بمعنى واحد .

---

(٤) أيمن محمد النبوى غبور ، النظريات الوضعية لعلوم الاتصال الجماهيرى والمجتمع الإسلامى المعاصر جامعة الزقازيق ، (دكتوراه غير منشورة) ، ١٩٩٦ ص٢

وبصفة عامة يمكن القول :

إن النظرية فى الاتصال الجماهيرى ليست إلا محاولات من الباحثين لتجسيد مايرونه مهما فى عمليات الاتصال .

كما يمكن القول إن نظريات الاتصال تتسم بسمتين :

الأولى : الاعتماد على عمليات تصورية ربما تنحاز لقضية ماأو فكر معين ، وهى غالباً ماتلقى الضوء على مجال أو مجالات معينة من تلك الظاهرة على حساب باقى المجالات الأخرى .

ولهذا فإن نظريات الاتصال الجماهيرى تتسم بعدم كفايتها للوصول إلى الحقيقة الكاملة بعكس نظريات العلوم الطبيعية .

الثانى : أنه لاتوجد ظاهرة تمت دراستها أو وضع نموذج لها بصورة كاملة وإنما هى تركز على جزئيات كنماذج (شرام أو شانون) وغيرهما **وبصفة عامة فإن نظريات الإعلام تهدف إلى وضع معايير وقيم للسلوك الاتصالى الإنسانى ومن أهم وظائف نظريات الاتصال**[٥] :

١ – تنظيم المعرفة ووضعها فى نسق يقربها من الفهم .

٢ – تسليط الضوء على بعض الظواهر الغامضة أو الجديدة بما يضيف معارف جديدة لسلوك الاتصال .

---

[5] Werner J. Severin and James W. Tanlard, JR.. Communication Theories : Origens. Methods. Uses, N.Y.. Communication Arts Books 1984.p.230

٣ - الوصول إلى بعض المبادىء العامة التى قد تحكم السلوك الإنسانى وتفيد فى ممارسة العمل الإعلامى .

٤ - التنبؤ بما سيحدث من قبل الجمهور .

٥ - تحقيق الاتصال الفكرى بين الباحثين فى الاتصال الجماهيرى .

مفهوم النموذج

كلمة نموذج (Model) فى معناها العام تطلق على أى تشخيص أو وصف أو استدلال رمزى للأشياء بحيث تكوّن فى عقولنا نماذج للأشياء كالقطار والطائرة وغيرهما..، وهو مانسميه «بالصور الذهنية» .

فالنماذج تمثل محصلة للخبرات التى نمر بها ، وقد نأخذ هذه النماذج من الرسوم والكتابات والأفعال والحكايات والتصورات سواء أكانت أسطورية أم واقعية .

أى أن النموذج هو تلك الرؤية التى تسبق النظرية وتمهد لها فى حالة نجاحه واستمراره .

وظائف النموذج :

يقودنا الحديث عن وظائف النماذج إلى تساؤل تطرحه د . جيهان رشتى فى هذا الشأن بقولها : ماالمزايا التى تعود علينا من تحويل العمليات النفسية أو العلاقات الاجتماعية إلى نماذج رياضية؟ أو إحصائية؟ أو نماذج ملموسة محسوسة؟ يجيب عن تساؤلها (دنيس

ماكويل) ، (سيفين وندال) بتحديد أربعة أهداف تلبى أربعة وظائف نماذج الاتصال على النحو التالى[٦] :

١ - تنظيم المعلومات للمعاونة على فهم الأحداث .

٢ - تشجيع القيام بأبحاث .

٣ - السيطرة على الظواهر والتحكم فيها .

٤ - مساعدتنا على التنبؤ .

أنواع نماذج الاتصال

فى أدبيات بحوث الاتصال الخاصة بنظريات الإعلام يمكن التمييز بين عدد من النماذج الأساسية وكل نموذج منها يختلف عن الآخر فى طريقة معالجة عملية الاتصال . فهناك من يصنفها تحت نوعين فقط وفقاً للشكل :

* **النماذج البنائية : Structural Models**

وهى النماذج التى تظهر الخصائص الأساسية للحدث أو الشيء أى المكونات وعدد وحجم وترتيب الأجزاء المتصلة بالنظام أو الظاهرة التى تصنفها .

* **النماذج الوظيفية :Functional Models**

تقدم صورة طبق الأصل للأسلوب الذى يعمل بمقتضاه النظام وهى نماذج تشرح طبيعة القوى المؤثرة على الظاهرة والنظام[٧]

---

6) Denis Mcquail and Seven Windahl Op.cit P.2

7) Idid;p3

وهناك تقسيم لنماذج الاتصال وفقاً لمستويات الاتصال :

١ – نماذج الاتصال الذاتى .

٢ – نماذج الاتصال بين فردين .

٣ – نماذج الاتصال الجمعى .

٤ – نماذج الاتصال العام .

٦ – نماذج الاتصال الجماهيرى[٨]

وهناك تقسيم ثالث **وفقا لطريقة العرض** :

١ – نماذج لفظية : أى سلسلة من الكلمات تشرح عناصر الاتصال والعوامل المؤثرة فيها .

٢ – نماذج لفظية مصورة أو رمزية : وهى امتداد للنماذج اللفظية للاتصال تحاول شرح عملية الاتصال برسوم مصورة .

العلاقة بين النموذج والنظرية :

لا تأتى النظرية من فراغ بل يتطلب الوصول إليها المرور بنماذج متعددة ومتكاملة ومتحدة فى الهدف ، ويعد النموذج خطوة لبناء النظرية . فالنموذج نظرية لم تكتمل بعد والعلاقة بينهما هى علاقة الجزء بالكل .

---

(٨) جيهان رشتى ، مصدر سابق ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

الفصل الثالث
الإسهامات العربية فى نظريات الاتصال

تمهيد :

سؤالنا المباشر هو :

هل حقا يمكن أن نعثر على نظرية أو نظريات عربية فى تراثنا الفكرى؟؟ ولماذا لم تظهر كتابات عربية تنير الطريق أمام علماء الاتصال وأساتذة الإعلام فى العالم العربى؟

والإجابة .

ثمة مؤلفات عربية وعقول عربية رصدت تلك العلاقة بين الاتصال والإقناع وبين الكلمة والدلالة غير أنه لم تكن قد ظهرت بعد فى عصرهم تلك المخترعات الحديثة كآلات الطباعة وأجهزة «الترانزستور» وأقمار البث الفضائى.. إلخ .

فمثلا . هذا ابن جنى يرى أن اللغة وسيلة للتعاون والترابط بين أفراد المجتمع فيقول :

«إننا نتبين أن كثيراً من الناس يتكلمون فى موضوعات ليس يعنيهم منها نقل أفكارهم إلى غيرهم وإنما يكون القصد من حديثهم التسلية أو النظر فى أمور تخصهم فى إدارة شئونهم»

فالواضح هنا أن ابن جنى لم يقصر الاتصال على الإخبار أو نقل المعلومات، بل جعله للتسلية والترفيه كما تشير الأبحاث الإعلامية الحديثة

ويجعله للتنمية (فى إدارة شئونهم»(١) وتعريف ابن جنى هذا يناسب وظيفة اللغة فى المجتمع ويتفق مع وظائف الإعلام فى المجتمع .

ويرى الجرجانى أن اللغـــة أصوات ، يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم(٢) والغريب أن مفهوم الجرجانى للغة هو مفهوم (شانون) حيث يرى أن اللغة (رموز صوتية) هى نسق من الإشارات متفق عليها بين المرسل والمتلقى .

أما الجاحظ فقد أسهم بمؤلفاته فى ظهور لغة إعلامية فريدة فى عصره ، فى الوقت الذى كان فيه غيره من العلماء يميلون للتعقيد اللفظى والوحشى من الكلام ، والجاحظ كان يقصد للمعانى مباشرة بلغة سهلة ويمقت (المتشدقين) على حد تعبيره .

فمثلا فى (البيان والتبيين) يقول :

«فإذا أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصالحة الخاصة حنَّت إليه المعانى وسلسل له نظام اللفظ وأغنى المستمع من كد الكلف، وأراح القارىء من علاج التفهم»(٣) .

إن اللغة العربية ــ بطبعها ــ لغة ذات دلالة دقيقة ... لغة ترمى إلى (النمذجة) على حد قول العقاد فهى لغة تميل إلى التبسيط من خلال منهج

---

(١) ابن جنى، الخصائص، ط ١، القاهرة، دار الهلال، ١٣٣١هـ، ص ٢١ .
(٢) إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، ص١٠٤ .
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣ ص٢٠ .

يعطى الألفاظ المعانى الجديدة ..[٤] .

فمثلا :

من الألفاظ القديمة :

السهل من السهولة ، والسماء من السمو ، والقلب من التقلب ، والأنس من الإنسان ، والعقل هو الربط والارتفاع فى الشرف ، وقد لاحظ العقاد هذه المعانى ودلالاتها فى كتابه (اللغة الشاعرة)

فيقول : المنزل حيث ينزل الإنسان والبيت حيث يبيت .

ونعتقد أن نظرة العقاد لهذه اللغة الشاعرة هى نظرة إعلامية ترتبط بالإفهام والإقناع، لأن كل كلمة فى لغة الإعلام لابد أن يكون لها دلالة، ويمضى العقاد فى تحليله الإعلامى لهذه اللغة العربية الشاعرة فيقول : (وأحسب أن لغة نفهمها قد اشتملت على وسائل التمييز بين الأوقات كما اشتملت عليها اللغة العربية .

فكل لحظة من لحظات الليل والنهار لها شأنها فى حياة سكان البادية ولهذا رأينا ألفاظا مثل : البكرة — الضحى — الغدو — الظهيرة — القائلة — العصر — الأصيل — الغروب — العشاء — الهزيع الأول — الهزيع الأوسط — الموهن — السحر — الفجر الشروق)[٥] .

مثل هذا الإحساس بالزمن لانجده فى أية لغة من اللغات وهو قمة الدقة الإعلامية التى تصف كل حال من الزمان بوصفه الدقيق .

(٤) العقاد، اللغة الشاعرة، دار الهلال، ص٦١ .

(٥) نفس المصدر السابق، ص٧٢ — ٧٣ .

ويرى العقاد أن اللغة العربية لها خصائصها الإعلامية التى تغطى الحقائق والأحداث بأقصى مايمكن من الدقة والسرعة واليسر والظروف[6] .

ويرى العقاد أن دقة التعبير دقة فى الإدراك والتفكير، وهى أيضا من خصائص الإعلامى الناجح .

وتلعب اللغة دورا رئيسيا فى عملية الإدراك التى تمثل مفتاح الاتصال الذاتى، فاللغة تملى علينا الطريقة التى نرى بها العالم، وللعالم الشهير عبدالقاهر الجرجانى عبارة شهيرة، تجدر الإشارة إليها فى هذا المقام حيث تقول :«**إن الكلمات التى هى أصوات تجرى من الأذن مجرى الألوان من البصر**»[7] ولابن وهب إسهام وفير فى هذا الشأن لم يلتفت إليه بعض أساتذة الإعلام ــ يقول فى كتابه «البرهان فى وجوه البيان» :

«بيان الأشياء بذواتها وإما لم تُبن بلغاتها، فالأشياء تبين للناظر المتوسم، والعاقل المتبين بذواتها وبعجيب تركيب الله فيها وآثار صنعته فى ظاهرها»[8] ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أى المتفكرين الذاكرين .

---

(٦) العقاد أشتات مجتمعات، الهلال، ص٦٢ .

(٧) Ernestt G. Bormann, Communication Theory, Holt, Rinehert and wenson, N.Y. 1995,P. 89.

(٨) جيهان رشتى، مصدر سابق، ص ١٤٢ ــ ص١٥٣ .

ويقول ابن وهب : «إن هذه الأشياء إنما تعبر لمن اعتبر بها وتبين لمن طلب البيان منها»(٩) .

إن هذا الكلام نقلا يقوله باركــر **Barker**، ووايزمان **Wiseman** فى نموذجهما الذى يتحدثان فيه عن تأثر الكائن الحى بالمنبهات الداخلية والخارجية فى الاتصال الذاتى ولسوف نجد عند المقارنة بينهما تطابقا عجيبا مع اختلاف فى الألفاظ وليس فى دلالة الألفاظ.!

من هذا نعلم أن الكلمات بما تحمله من دلالات ومعان يدركها الفرد بسمعه كما يدرك دلالة الألوان بعينيه، ومعنى هذا أن بناء لغة الفرد يحدد الطريقة التى سوف يدرك بها الواقع من حوله .

غير أنه ينبغى الحذر من القول بأن اللغة تحمل دلالات تعبر عن الواقع أو توازى هذا الواقع، لأننا فى حياتنا اليومية قد لانستخدم اللغة بشكل علمى، وموطن الخطر هو أن اللغة قد لاتعبر تعبيرا دقيقا عن الواقع (*) (١٠)

---

(٩) Newcomb, M., Theodor, The Acguaintence Process, Copyright, 1961, P,68.

(*) اللغة من حيث مفرداتها كفيلة بالتعبير عن الواقع وتصويره بدقة لكن المتحدث بها هل لديه المفردات الدى يستطيع به أن يصور الواقع كما هو ، هذه هى المشكلة – وليست اللغة . (**مجلة الأزهر**) ..

(١٠) **محمد العوينى، نماذج ونظريات الإعلام الدولى، مصدر سابق، ص١١ ..**

ولهذا كثيرا ما يحدث فى حياتنا اليومية مشكلات سوء فهم بين الرفقاء أو الزملاء أو الأصدقاء سببها أن القدرة على التعبير لدى طرف من الأطراف لم تكن جيدة يترتب عليها إدراك قوله على غير مايريد الطرف الآخر، فتنشب اختلافات(١١) .

ولهذا اجتهد أهل صناعة اللغة العربية فى اختيار الألفاظ لأهميتها فى الإدراك فمثلا يرى ابن الأثير فى كتاب «المثل السائر» أن ثمة علاقة بين صوت الكلمات ودلالتها، وأن الصوت يجعلك تستمتع بسماع الكلمة، ويضفى عليها معان طيبة، أو يجعلك تنفر من سماعها . فيقول :

«ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل ويميل إليه ويكره صوت الغراب وينفر منه؟»(١٢) .

والألفاظ على هذا المجرى ، فلفظ (المزنه) حسنة يستلذها السمع، بينما لفظ (البعاق) يكرهها السمع وهى نادرة الاستخدام مع أن لفظ (مزنه) و(بعاق) من أسماء المطر، وقس عليه لفظ (السيف) ولفظ (الخنشليل) ولفظ (الأسد) ولفظ (الفدوكس). بهذا نعلم أن الكلمة إن أحسن اختيارها تبعث فى خيال السامع صورة المعنى محسوسا مجسما

---

(١١) جامعة الملك سعود، الاتصال والسلوك الإنسانى، مصدر سابق، ص٨٧،٨٨

(١٢) جيهان رشتى، مصدر سابق، ص١٢٧ .

دون حاجة إلى الرجوع للمعاجم، ولقد امتازت العربية على غيرها من اللغات بأن التعبير فيها يوصف بائتلاف الجرس، ويسر اللفظ، وصفاء الرونق، وخفة الأداء، كما امتازت بوفرة كلماتها فى المعنى الواحد بفروق دقيقة فى الدلالة(١٣) فمثلا حين يرى الإنسان شيئا بمجامع عينيه نقول : «رمقة وإذا كان النظر من جهة الأذن، قيل : «لحظة» ، وإذا كان النظر بسرعة، قيل : «لمحة» وإذا كان النظر بعداوة، قيل : نظر إليه شذرا. وهكذا .

بيـــن البـــلاغة والإعـــلام

صلة وثيقة يلحظها الباحث بين علوم البلاغة وعلوم الاتصال بدءا بالمفاهيم وانتهاء بالنظريات ..، فالبلاغة مصطلح أطلقه البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالكلام أى (المضمون) والمتكلم أى (المرسل) والمستمع أى (المتلقى) و(الحال) أى بيئة الاتصال أو الإطار الدلالى كما يقول (شرام..) .

فى لسان العرب : بلغ الشيء... يبلغ بلوغا... وبلاغا، أى وصل وانتهى، والبلاغ : مايتبلغ به ويتوصل به إلى المطلوب، والبلاغ : مابلغك، والإبلاغ : الإيصال، وبلغت المكان بلوغا أى وصلت إليه(١٤) ..

(١٣) نفس المصدر السابق، ص١٣٥ .

(١٤) Danis McQuail, Op. Cit. P.13, 14.

وفى مختار الصحاح، (بلغ) المكان وصل إليه، وكذا إذا شارف عليه ومنه قوله تعالى : ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أى قاربنه ..، والإبلاغ والتبليغ : الإيصال، والبلاغة الفصاحة ..[15]

إن مادة البيان فى أصل استعمالها تدل على الانكشاف والوضوح سواء فى مختار الصحاح أو فى لسان العرب .. أو غيرهما من المعاجم .

ويقول الزمخشرى فى أساس البلاغة : (رجل بين : فصيح ذو بيان) .

ومن المفهوم اللغوى لكلمة بلاغة نجد أنها ـــ بالنسبة للإعلام ـــ مرادفة : للتوصيل أو الوصول أو الإيصال أو الاتصال...، والمعروف أن المصطلح الأكثر تعبيرا فى الدراسات الإعلامية الآن هو (الاتصال) وليس (الإعلام) وإذا كان المدلول اللغوى لكلمة بلاغة يرادف فى الإعلام الاتصال كما سبق ، فإن اللغة العربية أدق تعبيرا من المفهوم الأجنبى للإعلام Information الذى استبدل بعد ذلك بالمفهوم Communication أى الاتصال بعد ذلك .

---

(١٥) أبوالنجار محمد العمرى، الاتصال فى الخدمة الاجتماعية، مصدر سابق، ص٩٦،٩٧ . وراجع أيضا، جيهان رشتى، مصدر سابق، ص١٢٣ ـــ ١٣٠، وكذلك جامعة الملك سعود، الاتصال الإنسانى، مصدر سابق، ص٦٩ .

مدخـــــل اصطـــــلاحى :

إن علماء البلاغة وأهل الاختصاص فيها قد عنوا فى الكتابة والتأليف بالمباحث البلاغية التى ترادف فنون الاتصال اليوم... ولكن بمصطلحات تختلف عن مصطلحاتنا المستوردة... المترجمة عن الغرب، فإذا اقتربنا من هذه المصطلحات التى استخدمها الأقدمون فى علم البلاغة وجدناها أكثر دقة من المصطلحات الأجنبية .

صحيح كانت عناية أهل البلاغة موجهة إلى فهم القرآن الكريم أكثر من عنايتهم بفن الاتصال بالناس ولكنهم لم يهملوا هذا الجانب، بل ركزوا عليه تركيزا شديدا حين رأوا منازل المخاطب، فهو تارة خالى الذهن وأخرى متردد، وثالثة. شاك، ورابعة : منكر ، وجعلوا لكل منهم منزلة محدودة من القول، هم فى محاولاتهم فهم القرآن الكريم من هذا المنظور وضعوا لبنات مهمة فى صرح نظرية عربية لفن الاتصال بالناس... جديرة بالاهتمام والبحث .

وإليك مفهوم البلاغة عند القدماء :

يرى ابن المقفع أن البلاغة اسم لمعان تجرى فى وجوه كثيرة :

فمنها مايكون فى الاستماع.

ومنها مايكون فى السكوت،

ومنها مايكون فى الصوت،

ومنها مايكون فى الإشارة،

ومنها مايكون فى الاحتجاج... إلخ .

ثم يقول، وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك ، ولاخير فى كلام لايدل على معناك ولايشير إلى مغزاك ...(١٦)

وهذه رؤية بديعة لمفهوم البلاغة، فلم يقصرها ابن المقفع على الكلام.. كما يتبادر إلى الأذهان دائما مع كلمة (بلاغة).. ولكن ابن المقفع يجعلها أشمل ... حين جعل البلاغة فى الصمت... والإرشاد والاستماع والأصوات... والكلام... إلخ .

وهل الإعلام سوى هذا؟؟

ويرى الجاحظ أن :

«البيان اسم لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى ، وهتك لك الحجب دون الضمير، حتى يفضى السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان .. لأن مدار الأمر والكفاية التى نحن إليها يجرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأى شىء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان(١٧) .

ونلحظ هنا أن الجاحظ قد اقترب كثيرا من مفهوم الاتصال الجماهيرى فى تعريفه للبيان ... ونوضح فى هذا الشأن أن البلاغة والبيان عند الجاحظ بمعنى واحد ... والجاحظ يرى أن المهم فى العملية الإبداعية التى تخاطب من خلالها الناس إنما فى الإفهام وهو (هدف القائل) أو (المصدر) بلغتنا الحديثة، و(الفهم) حيث يريد السامع أو المتلقى بلغة الإعلام الآن ...!!

---

(١٦) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٤٥ .

(١٧) لسان العرب مادة : بلغ .

ويجمل الجاحظ كل الوسائل الإتصالية فى عبارة رشيقة فى قوله (**بأى شىء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان**) .

إن هذا القول يمتد الآن إلى كل القوالب والأشكال الفنية المستخدمة إذاعيا وتليفزيونيا فى مخاطبة الجماهير شاملة : الخبر والتعليق والحديث والأغنية والتمثيلية والفيلم ... إلخ .

ويقول (الرومانى) البلاغة هى : (إيصال المعنى) إلى القلب فى أحسن صورة(١٨) .

ويرى أبوهلال العسكرى أن الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له(١٩) ويوافقه الإمام عبدالقاهر الجرجانى فى نفس الاتجاه حيث يرى : أن الفصاحة والبلاغة والبيان كلها على معنى واحد(٢٠) .

ولقد تطابقت وجهات نظر الجاحظ وأبى هلال العسكرى حول مصطلح البلاغة حين يرى أبوهلال أن البلاغة «هى كل ماتبلغ به قلب السامع فتمكنه فى نفسه كتمكنه فى نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن»(٢١) .

بهذا يمكن القول : إن الأقدمين قد عرفوا البلاغة على أنها القاعدة أو الأساس لنجاح أى قائم بالاتصال ، وأنهم لم يختلفوا حول فهم دلالات

---

(١٨) مختار الصحاح، مادة بلغ طبعة الهيئة ١٩٨٧، ص٦٣ ،٦٤ .

(١٩) الحصرى القيروانى، زهر الآداب وثمر الألباب، بتعليق د. زكى مبارك، بيروت، ص١٤٥، ١٤٦ .

(٢٠) الجاحظ، البيان والتبيين، بتعليق عبدالسلام هارون، ص٧١ .
وانظر كذلك زهر الآداب، مرجع سابق، ص١٤٩ .

(٢١) الرمانى، الخطابى، وعبدالقاهر الجرجانى، ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، سلسلة ذخائر العرب (٦١)، القاهرة، دار المعارف ١٩٩١م ،ص٧٥،٧٦ .

ألفاظ البلاغة أو البيان أو الفصاحة، فالفصاحة ــ لغويا هى البيان كما فى لسان العرب، وكما يراها الجاحظ وتلاميذه .

كذلك ندرك أن فهم القدماء للبلاغة وأركانها شبيه بفهمنا للإعلام وأركانه للمتكلم والمستمع ومادة الكلام .. إلخ .

ولقد تأثر علماء البلاغة... المعاصرون بالمفاهيم القديمة ذات الدلالة على فن الاتصال بالجماهير ولم يخرجوا عنها ...

يرى الدكتور عبدالفتاح لاشين (**أن الأديب إذا أراد أن يخاطب أقواما لابد أن يصوغ كلامه فى صورة خاصة تلائم حالتهم النفسية، وأن يكون على علم تام بمدى استعدادهم لتلقى مفاهيم أخباره بالقبول أو الرفض**)[٢٢] .

كما يرى الدكتور عبدالقادر حسين (**أن البلاغة هى فن القول... هى التأثير فى فؤاد السامع، أو القارىء وإثارة إحساسه بالمتعة..**)[٢٣]

ونلحظ هنا مدى تركيز عبدالقادر حسين على (التأثير) فى الناس، ونحن نرى أن التأثير نتيجة للاتصال (أو البلاغة) وليس هو البلاغة، وأن البلاغة لاتقف عند الإحساس بالمتعة كما يرى، بل قد يكون القائل أو الكاتب بليغا، ولايثير فيك سوى الغيظ أو القلق... إلخ .

---

(٢٢) أبوهلال العسكرى، الصناعية، ص٨ ــ ١٢ .

(٢٣) عبدالفتاح لاشين، المعانى فى ضوء أساليب القرآن، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧م، ص٤٢ .

ويقترب من المفهوم الإعلامى للبلاغة ـ أيضا ـ على الجارم، ومصطفى أمين فى كتابهما «البلاغة الواضحة».. حيث البلاغة **عندهما تعنى الظهور والبيان وعناصرها.. لفظ ومعنى، وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثير حسنا ومراعاة لحال السامعين والنزعة النفسية التى تتملكهم وتسيطر عليهم»**[٢٤] .

ونرى أن على الجارم وزميله قد اقتربا من نماذج الإتصال الحديثة فى الإشارة إلى مراعاة حال السامعين والنزعة النفسية لهم .. كما رأينا فى دراسات شرام وباركر وغيرهما ..

ويرى د. هاشم محمد هاشم ـــ فى كتابه «البيان القرآنى عند الجاحظ» أن البلاغة ـــ فى اللغة ـــ **«هى الوصول إلى الشىء والانتهاء إليه من قولهم بلغت الغاية، إذا انتهيت إليها»**[٢٥] .

ويؤكد الدكتور عبدالبصير عبدالله حسين[٢٦] **أن البلاغة هى مراعاة الكلام لمقتضى الحال** وهو مايعادل فى لغة الإعلام المنطق الإعلامى الخاص والمنطق العام وهو ما تصنفه دارسات العلاقات العامة تحت مسمى (تكنيكات الاتصال) مثل (تكنيك التوقيت) أو مفترق الطرق وهى كلها مراعاة لمقتضى الحال .

---

(٢٤) أبوهلال العسكرى، الصناعتين، مرجع سابق، ص٨ .

(٢٥) عبدالفتاح لاشين، مصدر سابق، ص٩٧ .

(٢٦) عبدالقادر حسين، فن البلاغة، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ، ص٣٤ .

بعد هذه السياحة فى المفاهيم.. هل نحتاج إلى دليل لنقول : إن البلاغة بعلومها ... هى جزء من علوم الاتصال... أو هى الأساس الحقيقى للاتصال، ولو كانت الوسائل قد تطورت أيام البلغاء العرب وأصبحت جماهيرية... لقدموا لنا ماهو أكثر . ولو أننا استوعبنا ماكتبوا لوقفنا — فعلا — على ماهو أكثر .

مفهوم الجاحظ فى فن القول :

وهو مؤسس علم البلاغة العربية، وهو : «أول أديب عربى توسع فى دراسة (علم البيان) وأعطاه الكثير من نشاطه الأدبى والفكرى»[27] .

ويمكن القول إن الجاحظ أول إعلامى... له أسلوبه المتميز كتب فى كل شيء تقريبا...، وحسبك تلك الموسوعة الممتازة «الحيوان» وما ضمنه من حقائق عن الحيوانات لاتتوفر إلا لباحث مجرب، فهو يراقب سلوك الحيوان، ويكتب عن طباعه وعيوبه ومزاياه وتوالده وتكاثره... إلخ .

وحين تقرأ للجاحظ كتابه «البخلاء...» أو «المحاسن والأضداد» أو رسائل الجاحظ أو «البيان والتبيين»، فأنت أمام كاتب مقال من الدرجة الأولى، يمكن أن يقنعك فى براعة عجيبة بالشيء ونقيضه..، ولعله قد استفاد من المنطق اليونانى بما جعله أحد أئمة المتكلمين ..

---

(٢٧) على الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٣م، ص٩ .

ويقول أحمد أمين «كتب الجاحظ فى كل موضوع تقريبا... من المعلمين إلى بنى هاشم..، ومن اللصوص إلى الذئاب، ومن الإمامة إلى الحول والعور والعرجان...»[٢٨] .

ويرى أحمد أمين أن كتب الجاحظ ومؤلفاته (دائرة معارف) غير مرتبة على أحرف الهجاء» وقد تأثر به كثير من الأدباء فى عصره وبعد عصره فجاءت مؤلفاتهم على النحو الذى نحاه فى التأليف ..

الاتصال اللغوى عند الجاحظ :

علم الإعلام اللغوى، يعد أحد الفروع التطبيقية لعلم اللغويات الحديث من جهة ، ولعلم الإعلام ونظرياته من جهة أخرى، وهو علم لازال فى طور التكوين، واللغة فى أى مجتمع عبارة عن نظام عام يشترك الأفراد فى اتباعه ويتخذونه أساسا للتعبير عما يجول بخاطرهم، أو فى تفاهمهم سواء بين الأفراد أو الجماعات أو بين الأفراد والجماهير..

ويجب أن نتفق من البداية على أن اللغة ظاهرة اجتماعية، نشأت مع الإنسان ، وكما يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ البقرة ـ ٣١ ،: واللغة عند الجاحظ وعاء للفكر، ويتفق العقاد مع الجاحظ فى أن ركاكة اللغة ركاكة فى الفكر، ونحن نرى أن الوسيلة الوحيدة الفعالة فى (الاتصال الجماهيرى) التى نتمكن بها من إدراك معنى الحياة... هى اللغة[٢٩] .

(٢٨) هاشم محمد هاشم، البيان القرآنى عند الجاحظ، القاهرة، ١٩٩٣م، ص .
(٢٩) من حوار فى منزله فى ٦/٨/١٩٩٧م .

والجاحظ قدم رؤيته بالطبع قبل الأساتذة المعاصرين فهو الذى يقول : على قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل . يكون إظهار المعنى...»(٣٠) .

البيان ونظرية الاتصال عند الجاحظ :

مفهوم الجاحظ للبيان يتساوى مع مفهوم الدارسات الإعلامية الحديثة للإعلام فالبيان ــ عند الجاحظ : يعنى الإيضاح(٣١) ويعنى (الفهم والإفهام) كما أورد فى كتابه [البيان والتبيين] حيث يقول «.. فبأى حديث بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان»(٣٢) .

ونلاحظ أن الجاحظ لم يضع حدا فاصلا بين البلاغة، والفصاحة أو بين البلاغة والبيان، فقد أجرى هذه المصطلحات فى مؤلفاته بمعنى واحد وبخاصة فى الفصل الذى خصصه للبيان من كتابه [البيان والتبيين] .

ويرى الجاحظ أن المعانى والأفكار لاقيمة لها إلا بإعلانها من خلال الاتصال بالناس ، ولاقيمة لفكر حبيس فى صدر صاحبه مالم يواجه به الجمهور ... يقول الجاحظ «المعانى القائمة فى صدور الناس، المتصورة فى أذهانهم، والمتخلجة فى نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة فى

---

(٣٠) عبدالعزيز عتيق، تاريخ البلاغة العربية، بيروت، دار النهضة العربية، ص١٩ .
(٣١) أحمد أمين، ضحى الإسلام، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص٤٠٦ .
(٣٢) عبدالعزيز شرف، اللغة الإعلامية، القاهرة، الناشر الثقافى الجامعى، ص٢٣ .

فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، موجودة فى معنى معدومة، لايعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولاحاجة أخيه وخليطه، ولامعنى شريكه المعاون له على أموره... ثم يقول : وإنما يحيى تلك المعانى ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها ...»[٣٣] .

إن الجاحظ هنا يرى أن التعبير اللغوى هو المقدم، وإن الاتصال الذاتى لاقيمة له فى نشر الأفكار والمعانى مالم يعبر عنه، ويرى أن حياة المعانى فى ذكرها والإخبار عنها، وتلك رؤية إعلامية يسبق بها الجاحظ عصره .

وسائل الاتصال عند الجاحظ :

يبنى الجاحظ رؤيته لفن الاتصال بالناس على خمسة أنواع للدلالة على المعانى ، يمثل كل نوع منها وسيلة من وسائل الاتصال، ثم (ينظر) الجاحظ عمل كل وسيلة وكيفية الاتصال الفعال من خلالها...

يقول الجاحظ :

«وجميع أصناف الدلالات على المعانى خمسة أشياء لاتنقص ولاتزيد :

أولها : اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التى تسمى نصبة، والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم تلك الأصناف ولاتقصر عن

(٣٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ط١، ص٧٥ .

تلك الدلالات، ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها... وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ثم عن حقائقها فى التفسير(٣٤)

وكما ترى فإن الجاحظ يقسم وسائل الاتصال ـ حسب عصره ـ إلى هذه الأقسام الخمسة فى الاتصال بالناس..

فالقسم الأول : الدلالة باللفظ :وهذا باب كبير خصص له علم البلاغة كله وأصبح من الضرورى أن يتعلم بالاتصال (أديبا كان أو شاعرا) ماذا يقول؟ وكيف يقول . ومتى يقول . ولمن يقول؟ إلخ هذه التساؤلات سبق بها علماء البيان العرب علماء الغرب..!!

القسم الثانى : الدلالة بالإشارة :

فإذا كان مارشال ماكلوهان يرى أن (المضمون الإعلامى) لايمكن النظر إليه مستقلا عن (الوسيلة) الإعلامية نفسها، فإن الجاحظ قد قال ذلك حين دمج فى ذكاء نادر بين (اللفظ) = (المضمون) وبين (الإشارة) = (الوسيلة) كما عند ماكلوهان، فماذا قال الجاحظ؟ وماذا قال ماكلوهان؟

يقول الجاحظ :«الإشارة واللفظ شريكان... فأما الإشارة فتكون باليد وبالعين والحاجب، والمنكب، **إذا تباعد الشخصان**، وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد برفع السيف والسوط فيكون زاجرا ومانعا

(٣٤) الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص٣ .

رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا»[٣٥] كذلك يرى الجاحظ، أن الإشارة توضح المعنى للمتلقى، وأن اللفظ ـــ وحده ـــ لايكون له تأثير كاف فى نفس المستمع إلا من خلال وسائل معينة تقوية ليؤثر فى المتلقى بشكل كاف، فيقول عن الإشارة : «نعم العون هى له، ونعم الترجمان هى عنه، وماأكثر ماتنوب عن اللفظ، وماتغنى عن الخط.. ثم يقول : وفى الإشارة بالطرف أو الحاجب وغير ذلك من الجوارح موفق كبير ومعونة حاضرة، فى أمور يسترها بعض الناس...، **ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس** معنى خاص الخاص[٣٦] فى دلالة الإشارة :

ويرى الجاحظ أن مبلغ الإشارة (تأثيرا ومسافة) أبعد من مبلغ الصوت ويرى الجاحظ أن حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذى يكون مع الإشارة من الدل والشكل والتقتل والتثنى .. ان الجاحظ يضع الإشارة فى مستوى التعبير المنطوق ، ويرى أنها من عناصر نجاح القائم بالاتصال وضمان لوصول المعانى بدون تشويش للقائم بالاتصال، والجديد فى نموذج (شانون) أن الإشارات كهربية من خلال تليفون، وأن التشويش الميكانيكى يحول دون وصول المعنى واضحا عند المتلقى، والغريب أن يقال : أن (شانون) أول من أشار إلى (التشويش) فى نماذج الاتصال، ولم يشر أحد إلى الجاحظ، فالأول جاء مع ظهور الآلة الحديثة (التليفون) والثانى جاء فكرة أيام الاتصال المواجهى فتحدث عن التشويش الدلالى...

---

(٣٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٧٥ .

(٣٦) نفس المصدر السابق، ص٧٥ .

القسم الثالث : الخط :

ويقصد الجاحظ بالخط... الكتابة... القلم.... رموز الأبجدية التى نسطرها فى كلمات وجمل تحمل المعانى للأخرين...

فكأن اللفظ عند الجاحظ يعادل الاتصال وجها لوجه، وكأن الإشارة تدل على مستوى الاتصال الجمعى .

وكأن الخط عند الجاحظ يعادل مستوى الاتصال الجماهيرى الآن .

يقول الجاحظ : «فأما الخط فمما ذكر الله — عز وجل — فى كتابه من فضيلة الخط قوله لنبيه — عليه الصلاة والسلام :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ سورة العلق

، وأقسم به فى كتابة المنزل حيث قال :

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) ﴾ سورة القلم

ولذلك قالوا : القلم أحد اللسانين، وقالوا : القلم أبقى أثرا(٣٧) .

ولازلنا اليوم نرى الجريدة تبقى وتحفظ لدى الناس، أما الكلام المذاع فإنه يضيع أدراج الرياح بعد إذاعته... حتى بعد اختراع المسجلات، مما يدل على إدراك الجاحظ لدور (الخط) فإنه جماهيرى يقول : «والكتاب يقرأ بكل مكان (وهنا شيوع واتساع الوسيلة) ويدرس فى كل زمان، واللسان لايعدو سامعه»[٣٨] .

---

(٣٧) نفس المصدر السابق، ص٧٦ .

(٣٨) نفس المصدر السابق، ص٧٧ .

إنه يتحدث عن جمهور الوسيلة وسعة انتشارها وطبيعة الوسيلة التى تفرض نفسها على القائم بالاتصال، ولهذا نجد الجاحظ يفصل بين بلاغة الخطاب وبلاغة الكتابة، ويضع مواصفات للخطيب وأخرى للمؤلف الكاتب ... فاختلاف وسيلة الاتصال يجعل الرسالة مختلفة والقائم بالاتصال له مؤهلاته المختلفة .

القسم الرابع : (**العقد**)حيث يرى الجاحظ : أن الاتصال لايكون بالكلام فقط، وأن المعانى ليست وقفا على الكلمات والحروف، بل إن الأرقام لها دلالات ولها معان ولهذا يجعل الجاحظ (الحساب) أحد وسائل الاتصال أو بلغته من وسائل الإفهام والتفهيم، ويستدل الجاحظ بالآيات القرآنية على أهمية الحساب فى الاتصال الإنسانى فيذكر فى أى القرآن قوله تعالى :

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ . **الرحمن — ٥**

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ **— ٩٦ — الإنعام**

﴿... لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ...﴾ **— يونس — ٥**

ويرى الجاحظ (أن الحساب يشتمل على معان كثيرة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب فى الدنيا لما فهموا من الله — عز وجل — معنى الحساب فى الآخرة...)(٣٩) .

القسم الخامس : **النصبة** :وهى تعادل مانسميه (بيئة الاتصال) أو الحال الذى يتم فيه الاتصال، بمعنى أن الأشياء تنطق بغير لفظ أو تبين بذواتها على حد تعبير ابن وهب، فيقول الجاحظ : (النصبة هى الحال

---

(٣٩) نفس المصدر، ص٧٨ .

الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر فى خلق السموات والأرض، وفى كل صامت وناطق وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص ، فالدلالة التى فى الموات الجامد كالدلالة فى الحيوان الناطق . **فالصامت ناطق من جهة الدلالة**،...ومتى دل الشىء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكتا..»[٤٠] .

والجاحظ يجعل بيئة الاتصال جزءا من العملية الاتصالية، والمعروف أن للبيئة المحيطة دورا هاما فى ثراء المعانى وقوة التأثير .

ويضع الجاحظ (حال المتلقى) فى اعتباره عند الاتصال به ثم يخاطب بالوسيلة الملائمة والمضمون الملائم فهناك من تكفيه الإشارة ... ليفهم وتتم عملية الاتصال، وهناك من يحتاج إلى توضيح .... وهناك من يحتاج إلى التطويل والإسهاب أو ما يسميه (شانون) بالحشو فى مضمون الرسالة الإعلامية[٤١] .

ثم يركز الجاحظ بعد ذلك على المضمون بعد إشارته للوسائل المتاحة فى عصره، والجاحظ يجعل علم البلاغة كله ركيزة لمضمون فعال مؤثر، ويرشد الكتاب إلى ما نسميه اليوم بالمنطق الإعلامى العام والمنطق الخاص فيقول... (لاتخاطب العامة مخاطبة الملوك والأمراء، ولاتخاطب الأمراء والملوك بمثل مخاطبة السوقة..)[٤٢] .

إن الجاحظ يدرك سر الصنعة الإعلامية يعرف وسائلها ورسائلها ويعرف جمهوره جيدا من خلال ملاحظاته الدقيقة للناس فى جميع

(٤٠) نفس المصدر، ص٧٩ .
(٤١) نفس المصدر، ص٨٠ .
(٤٢) نفس المصدر، ص٨٠ .

أحوالهم .. ولهذا تجد الجاحظ قد أرسل نفسه على سجيتها، ولهذا قدم لنا أسلوبا أقرب مايكون إلى (الفن الصحفى) منه إلى لغة عصره وهو — فى معظم مؤلفاته لايتقيد بنظام محكم يترسمه فى كتاباته، ولايلتزم نهجا مستقيما يحذوه.. إنه رجل يريد توصيل المعنى من أقصر الطرق وبلغة يفهمها العامة قبل الخاصة، وذلك سر انتشار فكر الجاحظ فى عصره... وحتى اليوم .

ويجمل الجاحظ عوامل التشويش التى تعوق (عملية الاتصال) فنجده يقدم جوانب جديدة يقوم عليها الفن الإذاعى فى العالم كله يقول الجاحظ :

«وليس — حفظك الله — مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة، وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة، بأعظم مما يحدث عن العى من اختلال الحجة، وعن الحصر من فوت الدرك، وليس اللجلاج والتمتام، والألشغ، والفأفأ، وذو الحبسة والحكلة والرته، وذو اللفف والعجلة فى سبيل الحصر فى خطبته، والعى فى مناضلة خصومه.. ثم أعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق والتقصير من الخطباء والبلغاء مع سماحة التكلف وشنعة التزيد لا تحد من وعى من يتكلف الخطابة...، ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف) .

إن فنون التحرير الإعلامى الآن ضد التكلف وإستعراض القوة فى الكتابة، بل تميل المدارس الإعلامية فى التحرير الإعلامى إلى البساطة

والوضوح، ولازالت معظم دراسات (التحرير الصحفى) و(الكتابة الإذاعية) تركز على هذا الجانب .. وهو أمر سبقنا به الجاحظ منذ قرون وطبقه على نفسه فى جميع مؤلفاته .

مفهوم ابن وهب لفن الاتصال :

تمهيد :

إذا كان ماكلون يرى أن (مضمون) الوسيلة الإعلامية لايمكن النظر إليه مستقلا عن «تكنولوجيا» الوسيلة نفسها(٤٣) فإن الجاحظ وابن وهب قد نبها إلى هذا ، وبخاصة حين أكد الجاحظ على الإشارة بالرأس واليد والعين وهى كلها وسائل تشترك مع اللفظ فى الاتصال بالناس» .

والبلاغة العربية منذ نشأتها تعنى بالأسلوب . وهى تفترض أن الإعلام لديه ما يقوله ثم يختص علم البلاغة بطريقة القول أو الكتابة فيضع شروطا للقائم بالاتصال — كما قدم الجاحظ — وشروطا لجودة الرسالة — كما سنرى عند ابن وهب — وشروطا لبيئة الاتصال — كما قدم الجاحظ ولهذا يمكن القول : أن ابن وهب والجاحظ يشتركان معا

(٤٣) نفس المصدر، ص٩٠ .

فى نظرتهما الإعلامية (البلاغية) التى لاتختلف كثيرا عن نظريات الإعلام الحديثة .

ويرى ابن وهب أن (حد البلاغة عندنا أنها القول المحيط بالمعنى المقصود، مع اختيار الكلام وحسن النظام وفصاحة اللسان...»
كما يقول د. عبدالعزيز شرف «فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع وللحالة وللوسيلة الإعلامية على حاجة القارىء أو السامع»[٤٤] .

مستويات الاتصال عند ابن وهب :

يقسم ابن وهب «البيان» إلى أربعة وجوه : أو (كما نقول اليوم مستويات اتصالية) على النحو التالى :ـــ

١ ـــ بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبن بلغاتها .
٢ ـــ البيان الذى يحصل فى القلب عند إعمال الفكر .
٣ ـــ البيان باللسان .
٤ ـــ البيان بالكتاب .

هذا التقسيم أقرب مايكون إلى التقسيم العلمى للاتصال على النحو الذى يشير اليه د. سمير حسين، ود. جيهان رشتى ـــ أيضا ـــ يشير إليه راستش Ruesch وباتسون Bateson[٣٤] حيث اتفق الجميع على التقسيم الذى أشرنا إليه من قبل الأول ونذكر به فقط كالتالى :

(٤٤) نفس المصدر، ص٣١ .

١ ـــ الاتصال الذاتى Interapersonsl : أى الاتصال بين الفرد وذاته ويتمثل فى الشعور والوعى والفكر والإدراك والعلميات النفسية الداخلية .

٢ ـــ الاتصال الشخصى Interpersonal : سواء بين فردين أو أكثر وهذا الاتصال قد يعانى من التشويش أو فقد بعض المعلومات .

٣ ـــ الاتصال الجماهيرى Mass Communication :

وهو الاتصال من مصدر واحد إلى الملايين .

٤ ـــ الاتصال الثقافى أو الحضارى : حيث تتفاعل البيئات الثقافية والاجتماعية فى شكل عمليات اجتماعية معقدة كما يحدث بين الدول وبعضها.. فإذا عدنا إلى تقسيم ابن وهب، وجدنا المستوى الأول يقابل الاتصال بين فردين أو نظامين..، فالأشياء كما يقول : تبين أى تقدم معلومات للناظر والمتأمل، وإن كانت لاتعبر بلسانها، حيث يرى ابن وهب أن الأشياء تبين للناظر المتوسم والعاقل المتبين، بذواتها وبعجيب تركيب الله فيها آثار صنعته فى ظاهرها[٤٥] .

ثم يقول ابن وهب : فإذا حصل هذا البيان للمتفكر صار عالما بما فى الأشياء(٤٦) (أى حدث اتصال فعال ترتب عليه معلومات جديدة من تأمل الفرد للأشياء وخروجه بأفكار ومعلومات نتيجة الإدراك والتأمل) .

---

(٤٥) على عجوة، الأسس العلمية للعلاقات العامة .

(٤٦) الجاحظ، ص٨٨ .

ويسمى ابن وهب المستوى الأول : **بيان الاعتبار**، أما المستوى الثانى للاتصال ــ وهو مايقابل الاتصال الذاتى عندنا فى الدراسات الحديثة ــ فيسميه :**بيان الاعتقاد**،لأنه يحصل فى الفكر والقلب...، لأنه نتيجة حوار مع النفس فى داخل الإنسان...، أى أن المرسل والمتلقى هما نفس الشيء فالاتصال الذاتى كما ترى د. جيهان رشتى يتضمن الأنماط التى يطورها الفرد فى عملية الإدراك، ويقيم ويعطى معنى للأفكار والأحداث والتجارب المحيطة به»(٤٧) .

ووفقا لما يقول ابن وهب «إن الأشياء تبين بذواتها لمن تبين، وتعبر معانيها لمن اعتبر» .

وابن وهب يسبق كلا من (باركر) و(وايزمان) فى نموذجيهما القائم على أساس أن الإنسان يتأثر بالمنبهات الداخلية المرتبطة بالاعتبارات السيكلوجية والفسيولوجية ويتأثر بالمنبهات الخارجية المحيطة بالإنسان .

ويعتبر ابن وهب صاحب سبق فى الإشارة إلى المنبهات الداخلية والخارجية ودورها فى البيان الاتصالى الذاتى .

والمستوى الثانى للاتصال عند ابن وهب مايسميه **ببيان الإعتقاد**فيرى أنه على ثلاثة أنواع : حق لاشبهة فيه/ علم مشتبه يحتاج إلى حجة/ ثم باطل لاشك فيه

---

(٤٧) جيهان رشتى، الأسس العلمية، مصدر سابق، ص٣٤٦ .

فهل خرج نموذج (باركر) أو (بارنلند) أو غيرهما عن رؤية ابن وهب هذه ثم ينتقل ابن وهب إلى مستوى آخر من مستويات الاتصال، وهوالبيان **باللسان ثم البيان بالكتاب** .

والبيان باللسان هو مايعادل الاتصال الشخصى، أما البيان بالكتاب فهو يعادل الاتصال الجماهيرى والحضارى، ويعتبر ابن وهب أول أديب عربى يعرف مفهوم (الخبر) بشكل يقارب جدا المفاهيم الحديثة لفن الخبر فى الإعلام ...

يقول ابن وهب :

«الخبر : هو كل قول أفدت به مستمعه مالم يكن عنده» أى شيئا لم يكنه عنده[٤٨] ، وهو نفس المعنى الذى قصده، د. إبراهيم إمام ، عند تعريفه للخبر ، حيث يقول : «هو كل جديد يهم أكبر عدد من الناس»[٤٩] .

وابن وهب دقيق فى موضوع الخبر، ويرى أن من الأخبار (أخبارا تقع بها الفائدة ولايحصل منها قياس يوجب حكما، ومن ذلك الخبر المنفى فإنه يفيدنا فى انتفاء الشئ ولايحصل فى نفوسنا منه حكم، ويقول ابن وهب : الكذب إثبات شىء لشىء لا يستحقه ، أو نفى شىء عن شىء يستحقه، والصدق الإخبارى ضد ذلك هو إثبات شىء لشىء يستحقه أو نفى شىء عن شىء لايستحقه .

---

(٤٨) د. ابراهيم إمام، الإعلام والإتصال بالجماهير، مرجع سابق .
(٤٩) ابن وهب، البرهان فى وجوه البيان، ص٦٢ .

ويرى ابن وهب أن النسخ (التعطيل) لايكون فى الخبر، لأن الخبر إذا تبدل بطل .

إننا أمام إعلامى كبير يحتاج إلى قراءة متأنية وجهد كبير لنصل من خلال استيعابه إلى نظرية فى فن القول .

مفهوم عبد القاهر الجرجانى لفن القول :

يقدم الجرجانى مفهوما لفن القول يقترب به من مفهوم الإعلام الحديث فيقول : «إنما وضع (الكلام) لإفادة المعانى، والبلاغة فيه : أن تبلغ ماتريد من نفس (المخاطب) من (إقناع وترغيب وترهيب وتشويق)(٥٠) .

ويرى عبدالقاهر الجرجانى أن اللفظ بدون المعنى لاقيمة له، وأن اللفظ والمعنى كالجسد والروح لاغنى لأحدهما عن الآخر، ويرى أن اللغة بنت المجتمع، وأنها نظام اجتماعى يتعارف عليه الناس، ويقول عبدالقاهر الجرجانى : إن الكلمة المفردة لاتؤثر، فإذا وضعت فى نظام كان لها مفعول السحر فى نفوس الناس .

هذا يعنى أساس (نظرية النظم) عند الجرجانى، وقد كانت رؤية الجرجانى للبلاغة متقدمة حين جعل البلاغة هى : الوصول إلى المستمع

---

(٥٠) نفس المصدر السابق .

أو القارىء والتأثير فيه، وبالتالى لو نظرنا إلى أركان عملية **التوصيل عند** عن الجرجانى نجدها تساوى عملية الاتصال الحديثة .

فعنده : الكلام (الرسالة) . وضع لإفادة المعانى، والبلاغة فيه أن تبلغ ما تريد من نفس المخاطب (المتلقى) . من ترغيب وترهيب (التأثير) .

يرى الجرجانى أن الإعلام المؤثر (الكلام البليغ) ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك.. أى يجتهد المتكلم (القائم بالاتصال) فى ترتيب اللفظ وتهذيبه وصيانته (لضمان الوضوح وعدم التشويش) من كل ما أخلَّ بالدلالة **وعاق دون الإبانة** .

ويشترك (الجرجانى وشانون) فى أهمية أن تدل العلامات أو الإشارات على المعانى المقصودة فيقول الجرجانى :

«**اللغة تجرى مجرى العلامات ولامعنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ماجعلت العلامة دليلا عليه**[٥١] » .

ويرى الجرجانى أنه كلما قل التشويش وزادت مهارات القائم بالاتصال زاد الوضوح وقوى أثر الاتصال ، فيقول :

«كل أن عرف أوضاع لغة من اللغات، وعرف المغزى من كل لفظة ثم ساعده اللسان على النطق بها وعلى تأدية أجراسها وحروفها فهو بين فى تلك اللغة...» .

---

(٥١) جيهان رشتى، مصدر سابق، ص٨٢ .

ويرى أن من شروط القائم بالاتصال الناجح «أن يكون جهير الصوت [الوضوح] جارى اللسان لاتعترضه لُكْنَةٌ ولاتقف به حبسه»[٥٢] [انعدام التشويش] .

ويكمل مفهوم الجرجانى : الأمير أبوعبدالله بن سنان الخفاجى الذى يرى كمال صناعة الكلام [فن الاتصال] فى خمسة :

١ ـــ **الموضوع** : أن يكون واضحا بالقدر الذى يفهمه الناس .

٢ ـــ **الصانع** : أن يكون على دراية بمهنته وجمهوره .

٣ ـــ **الصورة** : أن يكون خبيرا بالأشكال الفنية التى يخاطب بها الناس ، مثل الخطابة والكتابة والرواية وقول الشعر... إلخ .

٤ ـــ **والآلة** : وهى ما تصل به إلى الناس ، سواء كانت آلة بشرية كجهاز النطق ، أو آلة مصنوعة كالبوق أو المزمار... إلخ .

٥ ـــ **والغرض** : وهو الهدف من الخطاب أو الحديث أو الكتابة .

تلك هى شذرات من تراثنا فى فن الاتصال بالناس نعد بتكرار المحاولة لاستجلاء صورتها على نحو أفضل .

---

(٥٢) ابن وهب، مصدر سابق، ص٧١ .



الفصل الرابع

المنظور الإسلامى للإعلام

تمهيد :

كثير من أساتذة الإعـلام يرفض مصطلـح « الإعـلام الإسلامى » ، على اعتبار أن الإعلام هو الإعلام :..،

وقد ساعد هذا الاتجاه تلك الكتابات التى جعلت مفهوم الإعلام الإسلامى إعلاماً دينيا فضلا عن حداثة مفهوم الإعلام الإسلامى فى المكتبة العربية وضعف القاعدة المعلوماتية المرتبطة به ، والعلوم التى يصدر عنها .. بمعنى أنه لايمكن الحديث عن الإعلام الإسلامى ، وليس لدينا تراث معرفى كاف فى علم الاجتماع الإسلامى وعلم النفس الإسلامى وهى علوم أساسية ترتكز إليها الدراسات الإعلامية .

إضافة إلى هذا وذاك ، فنحن ــ فى الغالب ــ نمارس إعلامنا بمفهومه الغربى وندِّرسه وندرسه بالمفهوم الغربى ، ونقيمه وفقا لمناهج بحثية غربية[1]

---

(١) عواطف عبدالرحمن ، الإعلام تحديات العصر ، مجلة عالم الفكر ، مج ٢٣ ، العددان الأول والثانى ، ديسمبر ١٩٩٤ ، ص١٤

فمن أين يتأتى لنا المفهوم الواضح للإعلام الإسلامى ..

كما يجب أن نعترف بأن الإعلام المعاصر — فى نشأته وتطوره — لم ينشأ على أيدى مسلمين ، والناظر إلى تاريخ الصحافة العربية سيجد أنها بدأت على أيدى غير المسلمين .

كما يمكن القول : إن صناعة وسائل الإعلام فى العالم وبخاصة الراديو والتليفزيون نشأت وتطورت على أيدى غير المسلمين ناهيك عن سيطرة اليهود على صناعة الإعلام فى العالم [٢] !!

أى أن الإعلام — بمفهومه المعاصر — لم يكن صناعة إسلامية فى نشأته .. فى تطوره .. فى دراسته .. فى تدريسه .. فى مناهجه .. فى تقويمه .. وبالتالى بات واضحا أننا بحاجة إلى مراجعة حقيقية للنفس .. وأصبح من الضرورى أن نسأل .

هل نحن بحاجة إلى الإعلام الإسلامى ؟

وما مدى هذه الحاجة ؟

إن الإعلام فى بلادنا مستورد ، فنا وعلما فهل شعرنا بنقص ؟ أم أن الأمر يسير على مايرام ؟ تلك تساؤلات أجد أنها ضرورية ونحن نتعرض لقضية الإعلام الإسلامى ..!!

---

(٢) فؤاد بن سيد عبدالرحمن الرفاعى ، النفوذ اليهودى فى الأجهزة الإعلامية ، القاهرة ، مكتبة زهران ص ١١ ص١٤

إسهامات الكتاب وأساتذة الإعلام العربى فى المنظور الإسلامى للإعلام

قبل ربع قرن ، لم يكن فى المكتبة العربية ــ فيما أعلم ــ كتاب يطرح موضوع الإعلام الإسلامى (ككل شامل) إذا استثنينا كتابات د / عبداللطيف حمزة وبعض الأساتذة . وأزعم أن الموضوع قد شغلنى منذ كنت طالبا فوليت اهتمامى شطره وكتبت فيه عام ١٩٧٨ م بحثا بعنوان (نحو إعلام إسلامى) وقدمته لأستاذ مادة مناهج البحث فى ذلك الوقت .. ، ولم أكن أملك من أدوات البحث الكثير ، ولا من صبر الباحث شيئا .. ولكنها .. كانت بداية على أى حال ، ومن خلال بحثى فى الإعلام الإسلامى وجدت اتجاهين .. أو فريقين من الكتاب والكتب ..

الفريق الأول : لم يدرس علوم الإعلام البتة وإنما هم من المشغولين بالإعلام وأهميته .. درسوا العلوم الشرعية والدينية .. فاشتغلوا بالدعوة الإسلامية دراسة ، مهنة ، فكانت مؤلفاتهم وبحوثهم أقرب إلى «الدعوة» منها إلى الإعلام .

الفريق الثانى : لم يدرس العلوم العربية والشرعية بقدر متخصص وقد درسوا الإعلام وقرأوه بأكثر من لغة (إنجليزية وفرنسية) وأنفقوا جل وقتهم فى دراسة وتدريس الإعلام بمفهومه الغربى الأجنبى ، ولكنهم رأوا أن الإعلام كظاهرة اجتماعية ، ابن بيئته ، وإعلامنا العربى كظاهرة

اجتماعية لم يعبر عن واقعنا .

غير أنه ــ للحق ــ يمكن القول : إن كلا من الفريقين قد فتح الباب على مصراعيه ، وأوجد مجالا للبحث فى الإعلام الإسلامى ، وأن من مؤلفاتهم ماله حظ الريادة ، وأنها قد صنعت تراكما معرفيا فى (الإعلام الإسلامى) .. فالآن تتوفر مئات الكتب فى الإعلام الإسلامى بعكس ما كان قبل ربع قرن من الزمان .

لهذا كله ...

كانت حاجة المكتبة العربية إلى بحوث جديدة فى الإعلام الإسلامى تتناوله باعتباره علماً جديداً لم تتوفر له بعد الأطر الفكرية الملائمة والتى قد تقودنا إلى (نظرية فى الإعلام الإسلامى) ..

مفهوم الإعلام الإسلامى

يمكن القول ببساطة : أن الإعلام الإسلامى هو الإعلام العام .. الذى تمارسه كل الدنيا بأشكاله وقوالبه وفنونه ووظائفه ، ماعدا أن الإعلام الإسلامى يقدم كل هذا وفقاً لقاعدة الحلال والحرام ، ولأن الأصل فى الأشياء الإباحة كما يقول علماء أصول الفقه ، ولأن الإعلام نتاج حضارى أسهمت فيه البشرية جميعا فنحن لانحرِّم منه شيئا إلا ما خالف الآداب الإسلامية وشريعة الإسلام .

ما عدا هذا .. فإن المسلم يمارس الإعلام ويتعامل معه كأى إعلامى فى الدنيا .

فالميكروفون ، وسيلة إسلامية يحرم استعماله حين يقدم للناس حديث المجون بما يخرج بهم عن قواعد الآداب والسلوك المحترم .

والكاميرا ، وسيلة إسلامية .. ولكن يحرم استخدامها حين تدور فى غرف النوم وتقدم العرى والإباحية والأفلام المخلة بالأدب .

إن وسائل الإعلام كلها (آنية) لاتحرم لذاتها وإنما يحرم مافيها إن كان حراما ، ومن هنا لا يختلف الإعلام الإسلامى عن أى إعلام إلا فى جوانب الحرام والحلال فقط .

فالخبر .. هو الخبر ، وفنونه .. هى فنونه ولكن الخبر الحرام هو الذى يهتك الأسرار الشخصية للناس .. هذا هو المفهوم الإسلامى . واستيفاء الأخبار بأى شكل جائز ماعدا تلك الأخبار التى تجىء بالغش والتدليس والكذب والوسيلة الحرام .. لماذا ؟

لأن كل ما يؤدى إلى الحرام حرام .

فلنأخذ الإعلام بعين المسلم وأذن المسلم وفكر المنسلم .. ليس الإسلام مثالية جوفاء كمثالية أفلاطون فى جمهوريته ، إنما الإسلام دين واقعى يتعامل مع الناس ويعرف ضعفهم وقوتهم ، ولايحملهم مالا طاقة لهم به فكيف نقبل على ركوب الصعب ظنا أنه الإسلام ؟ وهل نشر الإسلام فى العالم إلا بساطته .. ولقد كان الرسول ﷺ قرآنا يمشى على الأرض ..!!

بهذا يمكن القول إن أول تحد يواجه الإعلام الإسلامى هو الخروج من أزمة المصطلح والوقوف على مصطلح محدد كما يقول المناطقة ، مصطلح يفصل ويحسم .. مصطلح محدد لايزيد الأمر تعقيداً ، وأعود مرة أخرى إلى القول بأن الإعلام الإسلامى هو نفسه الإعلام العام بكل أهدافه ووظائفه ما دام يلتزم قاعدة الحلال والحرام فى عمله ، فالصحفى أو المذيع لاتثريب عليه فى عمله مادام لايرتكب محرما للفوز بسبق صحفى أو للحصول على كسب مادى .. إلخ



الفصل الخامس

نحو نظرية إعلامية إسلامية

تمهيد :

ليس المقصود بالإعلام الإسلامي ـ عندى ما قد يتبادر إلى الذهن ـ من رفض وسائل الاعلام الحديثة من إذاعة : بشقيها المسموع والمرئى ، ولا الصحافة الحديثة المتطورة ، ولا أية وسيلة حديثة ، بل على العكس من هذا ، إن هذه الوسائل لابد من استخدامها وفهمها واستيعابها علما وممارسة[1] . فإن الإسلام ليس عقبة أمام التعامل مع هذه الوسائل .

إن الإسلام لا يعارض التقدم العلمى قط ، بل شعاره الحق ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ **فاطر / ٢٨** وفى الحديث «العلماء ورثة الأنبياء » رواه أبو داود والترمذى ونحن حين نقول إن الإعلام الإسلامى هو الإعلام العام ، فليس معنى هذا أننا نقر الخلاعة والمجون بحال .

---

(١) عبدالوهاب كحيل ، الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامى ، القاهرة ، عالم الكتب ، ص٢٤ ـ ٢٥ .

وإذا كان العالم الألمانى (أوتوجروت) يعرف الاعلام بأنه ذلك التعبير «الموضوعى لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت» فإن الإعلام العام الذى نراه الآن فى وسائل الإعلام فى معظم الدول الإسلامية ... إدارة ... ومضمونا ... وتمويلا ... ورقابة ... إلخ لا يسير وفقا للقواعد والمبادىء الاسلامية ، إنما هو ينهج النهج الغربى ...

فلسفة الإعلام فى الإسلام :

إن فلسفة الاتصال تبحث فى التفاعل بين أسس الإعلام كعلم وبين تطبيقاته فى الواقع الاجتماعى ، وحتى نتوصل إلى مبادىء لنظرية الإعلام فى الإسلام ينبغى الإشارة إلى هذه الأسس الإعلامية . وتطبيقاتها فى المجتمع الإسلامى فى صدر الإسلام لأنها تمثل النموذج الحقيقى للمجتمع الإسلامى ... وكى نتفهم فلسفة الإعلام الإسلامى يجدر بنا أن نشير إلى الدعائم الفكرية التى أثرت المنظور الإسلامى للاتصال بين الناس ... وقد قام هذا المنظور على :

* القرآن الكريم باعتباره قاعدة التوجيه الإسلامى .
* السنة النبوية باعتبارها التطبيق العملى لهذا التوجيه .

والقرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ ينظمان العلاقة بين عناصر العملية الاتصالية بحيث يضعان القواعد الشرعية لخصائص القائم بالاتصال وصفاته لضمان نجاح الاتصال ، كما يقومان بتحصين

الجمهور ضد أى اتصال مغرض .. يشوش على الرسالة أو يحرف مضمونها ...

كما وضعا القواعد للجمهور كى يعرف من خلالها الفروق بين دعوة الحق ودعاوى الباطل ، ويضرب الأمثلة للناس ليستفيدوا منها فى حياتهم العملية ، فضلا عن بيان الحلال والحرام فى كيفية الاتصال بالناس بحيث تشكل هذه القاعدة إطارا للاتصال يحمى المجتمع ويحمى الفرد .

ومن أهم القواعد التى أرساها القرآن الكريم ما يلى :—

أولاً : قـــاعدة المســـئولية :

بحيث تمثل المسئولية روح الفلسفة الإعلامية فى الإسلام ، ولقد نص القرآن الكريم صراحة على هذه المسئولية بكل أنواعها وتبعاتها .. يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ .

الصافات ــ ٢٤

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾

المدثر ــ ٣٨

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ .

الإسراء ــ ٣٤

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾

الإسراء ـ ٣٦

﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾) .

النحل ـ ٥٦

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ .

التكاثر ـ ٨

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (رب مبلغ أوعى من سامع).
رواه البخارى

والقرآن الكريم يحفل بالكثير من الآيات التى ترسخ المسئولية .

فالقائم بالاتصال : مسئول عن نفسه ومسئول عن جمهوره ومسئول عن مادته التى يقدمها للناس ... ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾

الصافات ـ ٢٤

والمتلقى : مسئول عن سمعه وبصره وهما من أدوات الاتصال والتفاعل وبدونهما لا يمكن الادراك بشكل جيد ، ولا يستطيع التواصل بكفاءة مع الناس ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾

الإسراء ـ ٣٦

إن للحرية الإعلامية فى الإسلام ضوابط نراها مبثوثة مثبوتة فى مواثيق الشرف الإعلامية فى أوربا وأمريكا وهم يظنون أنها من بنات أفكارهم ، بينما الحق أن الإسلام جاهد من أجلها قرونا طويلة .

والمسئولية أكبر على القائم بالاتصال باعتباره العنصر المؤثر وعلى اعتبار أنه يمتلك الجاذبية ، ويحترف الإقناع ولهذا أحيط ما يصدر عن القائم بالاتصال فى الإسلام بسياج من الرّقابة المرنة التى تحفظ للقائم بالاتصال حريته فى استقاء الأنباء وحريته فى الاتصال ، وفى نفس الوقت تحفظ للجماهير حقها فى الذوق الرفيع والترفيه المحترم المترفع عن السفه وتعطى الجماهير حقها فى أن تعرف، وحقها فى بسط وجهة نظرها ...

وآيات القرآن الكريم توجه للقائم بالاتصال (فردا أو مؤسسة ... إلخ) رسائل مفادها أن الله يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ...، ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾
يونس ــ ٦١ .

. ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق ــ ١٨

إن عملية الاتصال فى الإسلام تتم تحت رقابة إلهية عادلة ولكنها صارمة ، فاللفظ موضع رقابة ، ومهما كانت درجة هذا اللفظ من القوة أو الخفوت ، فإنه لا يفلت من الرقابة حتى حالات الاتصال الذاتى وحديث النفس ... يعلمه الله – سبحانه – ومن هنا تكون الرقابة على الإعلام فى الاسلام رقابة ذاتية قائمة على إيمان القائم بالاتصال وثقة المجتمع فيه ، وفى القرآن الكريم : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (ســورة المجادلة)

ثانياً : قاعدة الصدق فى القـول :

يقول الحق – سبحانه وتعالى – :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة

﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ الأحزاب – ٢٤ .

فى علوم الإعلام – فى العالم – اليوم فنون للكذب تدرس تحت عنوان الدعاية وتحت مسميات التكتيكات الدعائيـة والحرب النفسية ... إلخ .

وفى الحديث الشريف من آيات المنافق «**إذا حدث كذب**» رواه البخارى .

وفى الحديث «**ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس**» رواه البخارى .

والقرآن والسنة باعتبارهما ركيزة التوجيه الإعلامى الذى تنبع منه النظرية الإعلامية فى الإسلام يحفل بالعديد من الشواهد فى الصدق يضيق المقام لو تتبعناها جميعا ...

ثالثاً : قاعدة العدالة فى القول :

الإسلام ضد الظلم والاحتكار ..، وضد سيطرة القوى على الضعيف ، والمنظور الإسلامى يرى الناس جميعا متساوين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ...﴾ الحجرات – ١٣ فلا عنصرية ولا سيادة لجنس على آخر ..

والعدالة التى ينشدها الإسلام فى الإعلام .. عدم احتكار دولة للوسائل الإعلامية ضد دول أخرى ، وعدم احتكار للمضمون والإنتاج الإعلامى لسيطرة دولة على أخرى ..

وأهم منظور إسلامى فى قاعدة العدالة هو «العدل فى القول» بحيث لا تتحول وسائل الإعلام إلى أدوات فتنة بين الدول ...

العدل فى القول بين الدول يساعد على السلام العالمى .

والعدل فى القول بين الأفراد فى المجتمع الواحد يهدىء الأعصاب ويمكن للسلام ولهذا أمر القرآن الكريم بالعدل فى القول :

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ الأنعام ـ ١٥٢ ، بل جعله أمرا مباشرا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ..﴾ النحل ـ ٩٠ ، وكما أمرنا بالعدل نهى عن الفحشاء والمنكر . وأتاح حرية الاختيار .

ويشجع الإسلام القائمين بالاتصال فى إعلامه على التزام الصدق والعدل فى القول ، ويجعل الكلام العادل الصادق كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ..

قال الله تعالى : ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..﴾ الإسراء ـ ٥٣ وقال أيضا :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ الأحزاب

رابعاً: عدم الإغراق فى اللهو :

قلنا : ليس الإسلام جهما ، والانسان بطبعه يحتاج إلى الترويح والتسلية «روحوا القلوب فإنها تمل كما تمل الأبدان» وفى الحديث (ساعة وساعة ..»

أما اللهو المحرم ،فإنه الذى ينشر الفحش والبذاءة .

وفى القرآن الكريم :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ

لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ..﴾ لقمان ـ ٦ .

خامساً : أدب الحوار والجدال :

والمضمون الإعلامى فى الإسلام لا يقف عند الإرشاد والتوجيه ، إنما يشيع جوا من حرية القول ، والجدل والمناقشات لفائدة الجميع .

إن الغوص فى المجهول أو البحث عن خفايا الأشياء من طبيعة البشر ، ولكن ثمة حدود وحرمات محفوظة .

ولقد جعل القرآن الكريم الحوار وفقا لأصول منها :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ آخر النحل .

لقد نهانا الإسلام عن الجدل العقيم الذى لا يؤدى إلى فائدة الناس ، كما نهى عن هتك أستارهم ..

إن للإنسان فى الإسلام كرامته وخصوصياته التى لا ينبغى أن يتسرب إليها ميكروفون ، ولا كاميرا ، ولا قلم كاتب .

دعائم نظرية الإعلام الإسلامى

(١) العقيدة :

يرى د. محمد سيد محمد أن الإعلام الإسلامى إعلام عقائدى باعتبار أن «نظرية الإعلام الإسلامى لابد وأن تعكس العقيدة الإسلامية» ، وبالتالى ينطلق الإعلامى المسلم فى عمله الإعلامى على هدى من عقيدته .

(٢) أن الإعلام حق لكل مسلم ومسلمة :

يرى الإسلام أن الحرية هى الأصل وأنه لا تحريم إلا بنص ، حرية القول مكفولة للناس جميعا وفى الحديث النبوى (الساكت عن الحق شيطان أخرس) وفى القرآن : ﴿**قم فأنذر**﴾ المدثر – ٢ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ الغاشية – ٢١ ، وفيه :
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ...﴾ المائدة – ٦٧ .

(٣) الجمع بين الملكية العامة والخاصة :

تعانى البشرية من احتكار اليهود على ٧٥٪ تقريباً من الإعلام العالمى ..، وفى ظل سيطرة الأموال على الإعلام تغيب الحقيقة ويضيع الحق ، وتنهار المثل .

أما الإسلام فإنه بطبعه لا يرفض الملكية الفردية ولكنه فى نفس الوقت يحرم الاحتكار مهما كان .

ويجعل الإسلام سيطرة الحاكم ضرورية حين ينحرف ميزان وسائل الإعلام إلى ما يضر بالناس .

(٤) **القانون** : المرجعية الأولى فى التشريع هى القرآن والسنة ثم يليهما الإجماع فالقياس والقواعد الكلية المعروفة فى الفقه .

إن الإسلام يرفض الانفلات فى نظرية الحرية تحت مسمى الحرية ، ويرفض الاحتكار تحت مسمى الحرية .

إن الإعلام فى المنظور الإسلامى رسالة ومسئولية واجبة لبيان الحق للناس ودحض الباطل .

الإعلام فى الإسلام رسالة لا تجارة وأداة بناء لا أداة هدم وتحريض .

الإعلام فى الإسلام ضرورة للتواصل والتعارف لخير البشرية .

الإعلام فى النظريات الوضعية أداة لإثارة النعرات القبلية والطائفي والعرقية واللغوية وهو فى حالة حرب دائم . لكن الإعلام فى الإسلام رسول سلام وأداة تفاهم .

أولاً : مشكلات تحول دون ممارسة الإعلام كمهنة

المشكلة الأولى : ضعف الكوادر العاملة فى الإعلام الإسلامى فى بعض بلاد العالم الإسلامى :

الصحفى ـ المذيع ـ المخرج ـ مقدم البرامج ... كاتب سيناريو (مصور ... إلخ) .

هذا الفريق المتكامل الذى ينتج لنا مضمونا إعلاميا إسلاميا لم تتوفر له بعد الثقافة الإسلامية بشكل معقول فمثلا كلية الإعلام فى مصر لا تدرس للطالب شيئا من العلوم الإسلامية .

إن إعداد كوادر إعلامية تعرف كيف تتعامل مع وسائل الإعلام الحديثة فرض عين وضرورة عصر ... وهى البداية الحقيقية لقيام إعلام إسلامى .

المشكلة الثانية : ضعف أجهزة إعداد القائمين بالاتصال :

معظم المعاهد الإعلامية فى العالم الإسلامى تدرس لطلابها مناهج نظرية تزيد عن ٧٥٪ من إجمالى الساعات الدراسية ولا يطبق الطالب ما

درسه علميا سوى فى حدود ٢٥٪ من إجمالى الساعات ، بل إن كثيرا من خريجى أقسام الإعلام - مثلا - فى بعض الجامعات لم ير شكل الاستوديو ، ولا دخل قناة ولا محطة إذاعية ، وبعضهم لم ير جريدة تطبع فى حياته ... إذا استثنينا من ذلك كلية الإعلام التى تمتلك مطبعة واستديو .

المشكلة الثالثة : تبعية الإعلام فى بعض الدول الإسلامية :

وأعجب شىء فى هذه القضية أن أخبار بعض الدول الإسلامية تمر عبر وكالات الأنباء الأجنبية فى لندن أو باريس أو واشنطن أما وكالاتها الأنبائية فهى ضعيفة المستوى ضحلة المضمون ..، واهنة الإمكانات . وأكثر من ٨٥٪ من الأنباء يتدفق من الغرب إلى الشرق ، وأن ثمة احتكارا للأنباء من وكالات أنباء يسيطر عليها اليهود فى العالم . مما دعا عقلاء العالم الثالث إلى المطالبة بنظام إعلامى عالمى جديد فيه نوع من التوازن بين الشرق والغرب ، وقضية التبعية الإعلامية واحتكار الغرب للإعلام .. أجهزة ومضمونا ، وكوادر ، من القضايا المؤرقة للزعامات الوطنية فى العالم كله .

إن فرنسا تجاهد ضد الغزوات الثقافية الأمريكية ، وألمانيا وروسيا وغيرهم ...، وذلك بالجودة فى المضمون وبتطوير الأجهزة والمعدات وإدخال الحواسب الآلية فى تكنولوجيا الاتصال والبث الفضائى .. فأين نحن من كل هذا ؟!

المشكلة الرابعة : نقص التمويل وضعف الإدارة :

تشكو وسائل الإعلام فى العالم الثالث من نقص فى التمويل يحول دون تطوير الإمكانات الفنية واستقدام التكنولوجيا المتقدمة للارتقاء بجودة الاتصال .

كما أن كثيرا من الدول الإسلامية تعانى من ضعف سيطرتها على سماء بلادها ، وعدم قدرتها على مواجهة البث الأجنبى الذى يتعارض مع القيم والثقافة والموروثات الحضارية لشعوبها .

إن النوايا الطيبة لا تصنع وحدها إعلاما إسلاميا قادرا على المنافسة وإن الاكتفاء بالدعاء على الأعداء دون الأخذ بالأسباب يعتبر قعودا وظلما من الانسان لنفسه .

